
ملف المستقبل
سري جداً!!
روايات مصرية للجيب
119
زمن الدم
د. نبيل فاروق
Looloo
www.dvd4arab.com
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ - الممر ..

ران صمت طويل عميق ، على حجرة القائد الأعلى ، أسفل المبنى الرسمي للمخابرات العلمية المصرية ، وراحت عشرات الملفات ، لمعظم العاملين فى الجهات السيادية تتوالى على شاشة ضخمة ، فى مواجهة مكتب القائد ، الذى تطلّع إلى الشاشة فى اهتمام بالغ ، شاركه إياه الدكتور (ناظم) ، رئيس مركز الأبحاث العلمية ، قبل أن يغمغم الأوّل ، فى توتر ملحوظ :

- الأمر عسير للغاية .

وافقه الدكتور (ناظم) بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

- هذا طبيعى يا سيادة القائد الأعلى ، فالمفترض أن ذلك الجاسوس الزمنى قد أعدّ ملفاته الزائفة بدقة مدهشة ، يستحيل كشفها بالوسائل التقليدية .

التفت إليه القائد الأعلى ، وهو يقول فى عصبية :

- ماذا نفعل إذن ؟! هل نخضع مئات الملفات للفحص الكامل ؟! أتدرى كم يمكن أن يستغرق هذا ؟! الخبراء أكّدوا أننا سنحتاج إلى ستة أسابيع على الأقل .

تنهد الدكتور (ناظم) فى أسى ، قائلاً :

- أعلم هذا أيها القائد الأعلى .. أعلم هذا .

نطقها ، وذهنه ينطلق ، مسترجعًا بداية الأحداث ، التى أدّت إلى هذا الموقف المعقّد ..

وكانت البداية تحمل اسمًا واحدًا ..

(طارق) ..

ذلك العضو الجديد ، الذى انضمّ إلى فريق (نور) كخبير فى الأشعة(*) ، بدلاً من (محمود) ، الذى ضاع فى مجرى الزمن(**) ..

(طارق) ، الذى لم تلبث الأحداث أن أثبتت أنه لا ينتمى إلى عصرهم ، وإنما هو فارس يجوب كل حقبات الزمن ، منذ فترة لا يعلمها إلا الله (سبحانه وتعالى) ..

ولم يكد هذا الكشف يستقر فى وجدان الجميع ، حتى دفعت الأحداث (نور) و(أكرم) إلى قلب مقاتلة الزمن ، التى انطلقت بهما مع (طارق) ، عبر الفضاء ..

(*) راجع قصة (العدو الخارق) .. المغامرة رقم ١١٥

(**) راجع قصة (الزمن = صفر) .. المغامرة رقم ١٠٠

وعبر الزمن ..

ثم هبطت بثلاثتهم فى عصر آخر ، ومكان آخر .. فى (فرنسا) ، إبان الحرب العالمية الثانية ..

وكان هذا آخر زمن ، فى التاريخ كله ، وآخر مكان ، فى الكون بأكمله ، يتمنى (نور) الهبوط فيه ..

هذا لأنه ، عبر كل عصور التاريخ ، لا يستقر أشرس أعدائه ، إلا فى ذلك الزمن بالتحديد ..

زمن الدم ..

وبهبوطهم بالقرب من (باريس) ، الواقعة تحت الاحتلال النازى ، اشتعلت الأمور ولم تهدأ ..

وانفتحت كل أبواب الجحيم ..

ومن أوسع أبوابه ، خرج الشيطان ..

شيطان يحمل اسم الجنرال (فريدريش هولدشتاين) ، أو الدكتور (خالد رضوان) ، العالم المستقبلى ، الذى طاردوه فيما مضى عبر الزمن ، ونجحوا فى إفقاده الذاكرة بأعجوبة(*) ..

ولقد استعاد الشيطان ذاكرته هذه المرة ..

(*) راجع قصص : (عبر العصور) ، (أسرى الزمن) ، (شيطان الأجيال) ، المغامرات أرقام (٥٤) ، (٥٥) ، (٥٦) .

وبدأ صراعًا أكثر عنفًا ..

وانطلق نحو هدف رهيب مخيف ..

نحو محاولة تغيير التاريخ ..

وسقط (أكرم) فى قبضة الشيطان ، الذى أعدّ فخًّا للإيقاع بـ (نور) و (طارق) ..

وفى الوقت ذاته ، انطلق الجنود الألمان ، فى قلب أنفاق المترو ، للإيقاع برجال المقاومة الفرنسية ، الذين يعاونون (نور) على استعادة (أكرم) ..

وفى الوقت الذى انتشر فيه النازيون داخل الأنفاق ، كان (طارق) ، المتنكّر فى هيئة ضابط جستابو ألمانى ، يواجه الشيطان (هولدشتاين) ، داخل المستشفى الصغير ، الذى تم احتجاز (أكرم) فيه ..

وكان هذا يعنى أن التاريخ قد اتخذ مسارًا جديدًا ، وأنه قد بدأ مرحلة التغيير بالفعل ..

إلى الأسوأ(*) ..

★ ★ ★

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين ، الأول والثانى ، (فارس الزمن) ، و(ألف عصر) رقمى (١١٧) ، (١١٨) .

التقط (آلان) نفسًا عميقًا ، وهو يقترب من المبنى التابع للمخابرات النازية ، فى قلب (باريس) ، والذى يطلقون عليه اسم (بيت الثعالب) ، وخلع قبعته الصغيرة ، وأمسكها بأصابع كفيه أمامه ، متخذًا هيئة الشخص البسيط الخائف ، وتعمّد أن يتنحنح مرتين ، وهو يتجه نحو جندى الحراسة ، الذى رفع مدفعه فى وجهه فى شراسة ، هاتفًا :

ـ قف يا رجل ، وإلا ..

توقّف (آلان) على الفور ، وتظاهر بالارتجاف ، وهو يقول :

ـ إننى .. إننى لم أفعل شيئًا ..

صاح به الجندى فى غلظة ، وهو يلوّح بمدفعه فى وجهه :

ـ ألا تعلم أن الاقتراب من هنا محظور ؟!

أجابه (آلان) فى سرعة :

ـ بالتأكيد يا سيّدى .. بالتأكيد ، ولكن .. ولكننى .. احم .. أعنى أن ..

صاح الجندى فى ضجر شرس :

ـ ماذا لديك يا هذا ؟!

ـ لوح (آلان) بسبَابته ، هاتفا :

ـ معلومــات .. لــدى معلومــات للهــر جنــرال (هولدشتاين) .

اعتدل الجندى بحركـة حادة ، فور سـماعه اسـم (هولدشتاين) ، وخُيِّل لـ (آلان) أنه سيؤدى التحية العسكرية فـى حزم ، إلا أن الجندى اندفع يسأل فى حدة :

ـ أية معلومات تلك يا رجل ؟!

أجابه (آلان) فى سرعة ، وبلهجـة تحمـل رائحـة الإصرار والعناد :

ـ للجنرال (هولدشتاين) وحده .

انعقد حاجبا الجندى فى شراسة ، وضمَّ شفتيه على نحو مخيف ، وهو يميل نحو (آلان) ، على نحو يوحى بأنه سيقبض على عنقه ، إلا أنـه لـم يلبث أن توقَّف بغتة ، وأطلَّت من عينيه نظرة توحـى بـالتفكير العميق لبضع لحظات ، قبـل أن يعتـدل فـى وقفتــه ، ويقول فى خشونة :

ـ عد فى الصباح الباكر إذن .

كان جوابًا مدهشًا ، اتسعت لـه عينـا (آلان) عن آخرهما ، فى دهشة حقيقية ، قبل أن يقول :

ـ فى الصباح الباكر ؟! قلت لك : إن لدى معلومات مهمـة ، لا بـد أن يسـمعها الجنـرال (هولدشـتاين) بنفسه .

وللحظة ، أطلَّت نظرة حـائرة مـن عينـى الجنـدى ، قبل أن يقول فى شراسة :

ـ قلت : عد فى الصباح الباكر يا رجـل .. ألا تفهم الفرنسية ؟!

لم يستطع (آلان) فهم أو استيعاب هذا الأمر قط ..

لقد أخبر الرجل أنه يحمل معلومـات مهمـة ، لا بـد أن يطلـع عليهـا الجنـرال (هولدشـتاين) شـخصيًا ، ولكنه يرفض حتى مجرَّد الاتصال بالجنرال ، وإبلاغـه بالأمر !!

وفى الوقت نفسه ، تبدو سيارة الجنرال واقفـة فـى وضوح ، أمام المبنى ، و ...

وفجأة ، قفزت فكرة مخيفة إلى رأس (آلان) ..

فكرة ، جعلت قلبه ينتفض بين ضلوعه فى عنف ، وتقفز انتفاضته هذه إلى شفتيه ، وهو يقول للحارس :

- حسن يا سيِّدى .. سأعود فى الصباح الباكر .

قالها ، ودار على عقبيه ، وابتعد عن بيت الثعالب بخطوات سريعة ، وقلبه يدق مع عقله دقَّات قوية عنيفة ..

الجنرال (هولدشتاين) ليس هنا ..

هذا هو التفسير المنطقى الوحيد لما حدث ..

من رآه (جولفيه) يغادر المستشفى ، لم يكن الجنرال (هولدشتاين) ..

لقد كانت خدعة شيطانية منذ البداية ..

خدعة ابتدعها عقل شيطانى رهيب ..

الجنرال استدعى رئيس الشرطة العسكرية (فون دارك) ، ثم جعله يغادر المستشفى مع أحد الجنود ، الذى ارتدى زى الجنرال ، وعندما أدى له (فون دارك) التحية أمام الجميع ، ثم ذهب الجندى ليستقل سيارة (هولدشتاين) ، تصوَّر (جولفيه) أن هذا الأخير قد غادر المستشفى ، وعاد إلى مقرّه ..

وهذا يفسِّر سبب وجود السيارة أمام المبنى ، بدلاً من دخولها إلى ساحة الانتظار داخله ..

إنها محاولة أخرى لإيهام الجميع بأن الجنرال (هولدشتاين) داخل وكر الثعالب ..

يا إلهى ! هذا يعنى إذن أن الجنرال فى مكان آخر ..

فى المستشفى ..

أسرع (آلان) الخطى ، حتى بلغ سيارة صغيرة ، تنتظره عند الناصية المقابلة ، وقفز داخلها ، هاتفًا بسائقها :

- أسرع يا رجل .. أسرع باللَّه عليك .. هناك فخ ينتظر (نور) و (طارق) .. أسرع لتحذرهما ، قبل فوات الأوان .

انطلق السائق على الفور ، وهو يغمغم :

- ياإلهى ! يا إلهى !!

كانت عقارب الساعة تشير إلى السابعة وخمس وعشرين دقيقة ، عندما اندفع السائق بالسيارة الصغيرة ، عبر شوارع (باريس) ، فى اتجاه ذلك المستشفى ، و ...

« يا إلهى ! ماذا دهاك يا رجل ؟! »

صرخ (آلان) بالعبارة ، وجسده يندفع إلى الأمام فى عنف ، عندما ضغط السائق فرامل السيارة فجأة ، فأجاب هذا الأخير فى توتر :

- هناك اضطراب ما .. الناس تعدو فى كل مكان .. أخشى أن يكون صديقاك قد وقعا فى الفخ بالفعل .

ألقى (آلان) نظرة سريعة على ساعته ، وقال :

- لا .. إنهما لم يبلغا المستشفي بعد .

دفع السائق باب السيارة ، قائلاً :

- سأستوضح الأمر إذن .

هتف به (آلان) :

- أسرع باللّه عليك .

رآه من نافذة السيارة يستوقف أحد المارة ، ويتحدَّث إليه لحظةَ ، امتلأت ملامحه بعدها بالذعر والهلع ، وهو يعدو عائدًا إلى السيارة ، وصاح :

- إنهم الألمان .. لقد اقتحموا أنفاق المترو ، بحثًا عن رجال المقاومة .

أصاب القول (آلان) كالصاعقة ، فانتفض جسده فى عنف ، وصاح :

- الأنفاق .. رحماك يا رب العالمين .

قالها ، ووثب من السيارة ، وانطلق يعدو عبر الشوارع المضطربة ، وقد نسى أمر (نور) و(طارق) ، ولم يعد يذكر سوى أمر واحد ، أشار إليه الأوّل فى حديثه ..

أن التاريخ قد بدأ مرحلة التغيير .. وبعنف ..

★ ★ ★

« أنت على حق يا (رمزى) .. » .

نطقت (سلوى) بالعبارة ، فى توتر بالغ ، وهى تراجع نتائج الكمبيوتر ، فالتفت إليها (رمزى) و(نشوى) فى اهتمام ، فى حين قفز الدكتور (ناظم) من مقعده ، هاتفًا :

- ما الذى توصلّت إليه ؟!

أشارت (سلوى) إلى شاشة الكمبيوتر ، التى بدت عليها تلك الخريطة الكبيرة البيضاء ، التى انتشرت فيها عدة دوائر سوداء ، مع خطوط حمراء تربط تلك الدوائر بعضها بالبعض ، وأرقام ورموز إلى جوار كل ثقب ، وكأنها تعبِّر عن صفته ، وقالت فى انفعال :

- إنها بالفعل خريطة للثقوب الزمنية .

سألها الدكتور (ناظم) لاهثًا :

- هل تأكَّدت من هذا ؟!

أجابته فى ثقة :

- إلى حد كبير .

ثم عادت تشير بسبَّابتها ، مستطردة :

ـ تلك الأرقام والرموز نوع من الشفرة ، التى تستخدم المعلومات الفلكية ، الخاصة بمواضع النجوم ، لتمييز الثقوب ، داخل الفراغ الزمنى ، وتقسيمها إلى مجموعات متناغمة ، تمامًا كما يحدث فى علم دراسة النجوم .

راجعت (نشوى) الخريطة فى سرعة ، قبل أن تهتف فى إعجاب :

ـ رباه ! كيف لم أنتبه إلى هذا ؟!

غمغم الدكتور (ناظم) مبهورًا :

ـ لأن أمك عبقرية يا بنيتى ! لقد توصَّلت فى ساعات معدودة ، إلى ما لم يتوصَّل إليه علماؤنا كلهم .

أشارت (سلوى) بسبَّابتها ، قائلة :

ـ لا تتسرَّعوا بإبداء الإعجاب أيها السادة ، فما توصَّلت إليه مجرَّد تحليل عام فحسب ، ولكننى لم أدرك بعد معنى الرموز والأرقام .

أجابها (رمزى) :

ـ ولكنك أثبتَ على الأقل أن (طارق) كان يحمل خريطة لثقوب الزمن ، وهذا يعنى أنه كان يدرك طبيعة رحلته جيِّدًا .

عقدت (سلوى) حاجبيها بضع لحظات ، قبل أن تقول فى حزم :

ـ ليس بالضرورة .

بُهتَ الدكتور (ناظم) لجوابها ، وهتف مستنكرًا :

ـ ماذا تعنين يا (سلوى) ؟!

التفتت إليه ، قائلة :

ـ الشىء الوحيد ، الذى تأكَّدنا منه ، هو أن هذه خريطة للثقوب الزمنيَّة ، داخل الفراغ ، الذى تحدَّث عنه (طارق) ، ولكننا لم نعلم بعد ما إذا كان قد حصل على هذه الخريطة ، قبل أن يبدأ رحلته ، أم أنه قد صنعها ، بعد أن ضلَّ طريقه عبر ثقوب الزمن !!

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) ، وهو يحدِّق فى وجهها ، ثم هتف ساخطًا :

ـ أىُّ تعقيد هذا ؟!

أجابته (نشوى) هذه المرة :

ـ بل هو تحليل منطقى تمامًا يا دكتور (ناظم) ، فأنت تعلم مثلنا أن (طارق) عبقرى ، وأن معدلات ذكائه تفوق بكثير بعض كبار العلماء فى إدارتك ، وإذا ما تعرَّض شخص مثله لتجربة الضياع فى مجرى

الزمن ، فمن الطبيعى أن يسعى لدراسة موقفه ، والبحث عن وسيلة للخروج من الدائرة المغلقة هذه ، وليس من المستبعد ، والحال هكذا ، أن يرسم خريطة للثقوب الزمنية ، وأن يقوم بدراستها ، وتطويرها ، كلما انتقل من عصر إلى عصر ، وأن يربط بين خريطته ، ودراسته للنجوم ومساراتها ، بل وربما كان هذا تفسيرًا لشغفه الشديد بدراسة الفلك والنجوم ، كمحاولة للربط بينها وبين توزيع تلك الثقوب الزمنية .

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) ، فى حين هتف (رمزى) فى حماس :

ـ استنتاج منطقى للغاية .

التفت إليه الدكتور (ناظم) فى بطء ، ورمقه بنظرة غاضبة ، قبل أن يقول :

ـ ماذا دهاكم أيها السادة ؟! تبدون وكأنكم تتعاطفون مع (طارق) هذا .

تبادلت (نشوى) و (سلوى) نظرة صامتة ، كادت كل منهما تهتف من خلالها أنهما تتعاطفان معه بالتأكيد ، دون حتى أن تدركا سببًا لهذا ..

أما (رمزى) ، فقد واجه نظرة الدكتور (ناظم) فى ثبات ، وهو يجيب :

ـ ولماذا لا نتعاطف معه ؟! لقد شاركنا إحدى مهماتنا بالفعل ، وكان خير عون وصديق طوال الوقت .

هتف الدكتور (ناظم) مستنكرًا :

ـ ولكنه جاسوس !

صاحت (سلوى) :

ـ جاسوس ؟! أىّ قول هذا يا دكتور (ناظم) ؟!

أجابها فى حدة :

ـ القول المنطقى العاقل يا (سلوى) .. ألم يتسلّل إلى مؤسسة الرياسة ، ويجمع بعض المعلومات الفلكية ، و ...

قاطعته فى صرامة :

ـ وماذا يا دكتور (ناظم) ؟! هل حاول إيذاء أىّ مخلوق بتلك المعلومات ؟!

هتف غاضبًا :

ـ وهل كنا سننتظر حتى يفعل ؟!

قال (رمزى) :

ـ يفعل ماذا يا دكتور (ناظم) ؟! الشاب لا ينتمى إلى عصرنا وزماننا بالتأكيد ، ولديه تكنولوجيا تفوق ما لدينا بكثير ، فلماذا يسعى للتجسس علينا ؟! بمَ يمكن أن يفيده هذا ؟!

ارتفع حاجبا الدكتور (ناظم) فى دهشة ، وكأنه ينتبه إلى هذه الحقيقة لأول مرة ، إلا أنه لم يلبث أن عقدهما فى صرامة ، وهو يقول :

- مازلت أصرّ على أنه لم يبلغنا بالحقيقة .

أشار (رمزى) بيده ، قائلاً :

- ربما ، ولكن ..

قاطعته (نشوى) ، قائلة فى انفعال :

- مهلاً .. يمكنكما استكمال المناقشة فيما بعد ، أما الآن ، فاستمعا إلى تلك النتيجة المدهشة ، التى توصّل إليها الكمبيوتر ، بالنسبة لفارس الزمن الثانى .

التفت إليها الجميع فى لهفة ، وسلوى تهتف :

- هل توصّلت إلى جديد ؟!

أجابت (نشوى) فى حماس :

- بالتأكيد .. لقد غذيت الكمبيوتر بكل المعلومات ، التى استخلصناها عن فارس الزمن الثانى ، وجاءت النتيجة تؤكد أننا لن نعثر على ذلك الفارس ، وسط كل رجال العالم .

سألها الدكتور (ناظم) فى دهشة :

- ولماذا ؟!

مالت نحوه ، مجيبة فى حزم :

- لأن صفات وسمات فارس الزمن الثانى تنطبق ، أكثر ما تنطبق على ...

صمتت لحظة ، وكأنها تستثير مشاعرهم ، قبل أن تكمل :

- امرأة .

وارتدّ الجميع فى عنف ..

فقد كانت هذه مفاجأة ..

مفاجأة حقيقية ..

★ ★ ★

دوت الرصاصات الألمانية ، عبر شبكة أنفاق المترو الباريسية ، فانطلقت من حلق (برجيت) شهقة قوية ، وهى تهتف :

- رباه ! لقد أطبقوا علينا .

هتف بها (جولفيه) :

- ليس بعد .. لا يوجد أحد من رجالنا خارج هذه القاعة .. إنها رصاصات للإرهاب فحسب .

ثم عضّ شفتيه فى غيظ ، مستطردًا :

- ولكنهم سيطبقون علينا بعد دقائق معدودة ..

إنهم يتحركون من ثلاثة اتجاهات مختلفة ، وهذا يعنى أنهم لم يتركوا لنا مهربًا .

انطلقت صيحات غاضبة من الرجال ، وهتف أحدهم :

- أقسم ، لو بقى فى صدرى نفس واحد ، بعد هذا الموقف ، ألا أطلقه ، حتى أقتل الغربيين ، جزاء خيانتهما لنا .

اعتصرت قبضة باردة قلب (برجيت) ، وهى تهتف :

- لا تتسرَّع يا رجل .

صاح رجل آخر :

- يتسرَّع ؟! لم يعد هناك وقت للتروِّى يا (برجيت) .. الألمان هنا ، وسيطبقون علينا بعد لحظات .

عضَّت شفتيها فى مرارة ، حتى كادت تدميهما ، وهى تجذب مدفعها الآلى ، وتجذب إبرته بكل قوتها ، ثم قالت فى غضب صارم :

- لن يظفروا بنا بسهولة .

رفع الرجال جميعهم مدافعهم الآلية ، وهتف بعضهم :

- بالتأكيد .. سنثبت لهم أن دماءنا غالية .

ارتفع صوت مباغت ، يقول فى صرامة :

- لن يعنيهم هذا كثيرًا .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت ، وهتفت (برجيت) فى دهشة :

- (آلان) ؟! كيف وصلت إلى هنا ؟!

كان يلهث فى شدة ، وهو يشير إلى الجميع ، قائلاً :

- فيما بعد يا عزيزتى .. فيما بعد .. اتبعونى الآن ، وستعلمون كل شىء .

لم يكن الموقف يسمح بالمناقشة أو التساؤل ، لذا فقد اندفع الجميع خلفه فى صمت ، واتسعت عيونهم فى دهشة ، عندما رأوه يدفع جزءًا من جدار القاعة ، فيدور حول نفسه ، كاشفًا ممرًا سريًا ، هتف (آلان) ، مشيرًا إليه :

- أعتقد أنه سيسعنا جميعًا .

انعقد حاجبا (برجيت) ، وهى تسأله :

- كيف عرفت هذا النفق ؟!

دفعها داخل الممر ، قائلاً فى صرامة :

- فيما بعد يا (برجيت) .. فيما بعد .

اندفع رجال المقاومة الفرنسية داخل ذلك الممر السرى ، وفى نفس اللحظة ، التى بلغ فيها الألمان القاعة ، وأطلقوا نيرانهم فى كل مكان منها ، كان (آلان) يحكم إغلاق ذلك الجزء من الجدار ، ويحبس أنفاسه مع رفاقه ، وسط ظلام دامس ، حتى همست (برجيت) فى سخط :

- هل كنت تخفى عنى هذا الممر السرى طوال الوقت ؟!

صمت لحظة ، ثم تمتم :

- كنت أدخره لظروف كهذه ، وأردت إحاطته بالسرية البالغة .

هتفت فى خفوت محنق :

- ألا تثق بى ؟!

أجابها فى عصبية :

- أتعتقدين أن هذا وقت مناسب ، لمناقشة موضوع الثقة ؟!

كتمت غيظها ، وهى تهمهم بكلمات غير مفهومة ، فى حين رفع (آلان) صوته قليلاً ، وهو يقول للرجال :

- دعونا نتحرك فى سرعة ، وسيقودنا هذا الممر إلى أحد مداخل المترو القديمة المهجورة .. هيا .. إنه طريق آمن .. لقد أتيت منه على الفور .

انطلق الجميع يعبرون الممر ، وقلوبهم تخفق فى عنف ..

وبالذات (برجيت) ..

فعلى الرغم من كل ما يحيط بها ، كانت تتساءل فى قلق بالغ : ترى أىّ موقف يواجه (نور) و(طارق) فى هذه اللحظة ؟!

دار هذا التساؤل فى أعماقها ، دون أن تدرى أن (نور) و(طارق) كانا يواجهان أصعب لحظاتهما فى ذلك العصر ..

أصعبها على الإطلاق .

* * *



٢ - ضربة انتحارية ..

تألَّقت عينا الجنرال (هولدشتاين) على نحو مخيف ، وهو يدلف بخطوات بطيئة إلى حجرة المستشفى ، متطلِّعًا إلى (طارق) بنظرة ظافرة ، فى حين كشَّر (كارل) عن أنيابه ، بابتسامة ساخرة متشفية ، وانتزع مسدسه من غمده ، و ...

« هايل (هتلر) .. »

انطلق هتاف (طارق) فى حزم واثق ، وهو يعتدل فى وقفة عسكرية صارمة ، ويفرد ذراعه أمامه بزاوية مرتفعة ، ضاربًا كعبيه بعضهما بالبعض ، قبل أن يكمل بلغة ألمانية سليمة ، ولهجة تحمل مزيجًا من الدهشة والانبهار :

- سيِّدى الجنرال ، كم يدهشنى أن ألتقى بك هنا ، بعد أن تلقَّيت أمرك المباشر بالحضور إلى المستشفى ، وإحضار السجين ؟!

كان لرد فعله المذهل ، الذى بدا تلقائيًا للغاية ،

أثر عجيب على الرجلين ، فقد انعقد حاجبا الجنرال فى توتر ، فى حين اتسعت عينا (كارل) فى دهشة ، سرعان ما تحولَت إلى غضب جارف ، وهو يهتف :

- اسمع يا رجل ، لو أنك تتصوَّر أن هذه الخدعة سوف ..

قاطعه (طارق) بلهجة ، تحمل كل معانى الدهشة والاستنكار :

- خدعة ؟! أية خدعة أيها الضابط ؟! إننى أحمل أمرًا بتوقيع الجنرال (هولدشتاين) شخصيًا ، وها هوذا الجنرال أمامك ، ليؤكِّد ما أقول .

ثم دفع التصريح الزائف نحو (هولدشتاين) ، مستطردًا :

- أليس هذا توقيعك يا سيِّدى الجنرال ؟!

تفجَّرت حيرة هائلة فى وجه (كارل) ، فى حين تلاقى حاجبا (هولدشتاين) ، وهو يتطلع فى توتر حذر إلى (طارق) ، وينقل بصره فى روية ، بينه وبين ذلك التوقيع ، المطابق تمامًا لتوقيعه ، فوق التصريح الزائف ..

كانت تلك المبادرة قد أربكته حقًا ، على الرغم من ثقته الزائدة فى ذكائه وحسن تخطيطه ..

لقد بدا له (طارق) طبيعيًا وتلقائيًا للغاية ، حتى إن خنجرًا من الشك قد انغرس فى أعماق مخه ، وأطلق بركانًا من الحيرة فى كيانه كله ..

لقد كان يتوقَّع مجىء (نور) ، أو أحد رفاقه ، الذين تحدَّث عنهم التاريخ فى عصره ..

ولكنه لم ير هذا الشاب الواقف أمامه من قبل قط ..

لا فى الحياة ، ولا فى كتب التاريخ ، أو حتى عبر الزمن ..

ثم إنه ليس فرنسيًا ، من رجال المقاومة ..

اللغة الألمانية السليمة ، التى يتحدَّث بها ، لا يمكن أن تجعله أحدهم ..

فمن هو إذن ؟!

هناك احتمالان ، لا ثالث لهما ..

فإما أنه شاب من المستقبل ، لم يذكره التاريخ قط ..

أو أنه أحد ضباط الجستابو بالفعل ، وقد تلقَّى أمرًا زائفًا ، يحمل توقيعه هو ؛ لإخراج السجين من المستشفى ..

والاحتمال الأخير وارد للغاية ..

وستكون خطة عبقرية ، من خطط (نور) ..

أن يدفع ضابط جستابو حقيقيًا لدخول المستشفى ، ومحاولة إخراج السجين ، و ..

ولكن لا ..

لا يمكنه أن يجازف بقبول هذا الاحتمال ..

نجاحه وبقاؤه عبر الزمن ، يعتمدان على الشك فى كل من حوله ، واعتبار كل متهم مدان ، حتى يثبت العكس ..

وفى صرامة ، عقد (هولدشتاين) كفيه خلف ظهره ، وسأل (طارق) :

- من أين حصلت على هذا الأمر ؟!

بدت حيرة مصطنعة ، غاية فى الإتقان ، على وجه (طارق) ، وهو يجيب :

- أحد ضباطك سلمنى إياه يا جنرال ، وطلب منى التحرك على الفور .

سأله فى صرامة :

- ولماذا لم تحاول التأكُّد من أمر خطير كهذا ، عبر الهاتف ، أو أجهزة الاتصال اللاسلكية أيها الضابط ؟!

هزَّ (طارق) رأسه ، مجيبًا :

- كل الاتصالات مقطوعة يا سيِّدى الجنرال .. ألم يخبروك بهذا ؟!

التقى حاجبا (هولدشتاين) فى شدة ، وهو يقول :

- مقطوعة ؟!

قالها ، واندفع نحو الهاتف ، والتقط سمَّاعته ، ليضعها على أذنه ، فى نفس الوقت ، الذى قال فيه (كارل) فى عصبية :

- لست أصدِّق حرفًا واحدًا من هذا .

ولكن (طارق) لم يعره انتباهًا ، وهو يتطلَّع إلى (هولدشتاين) فى اهتمام ، متسائلاً فى أعماقه :

ترى هل أدّى (شيفاليه) عمله كما ينبغى ، وقام بتشغيل جهاز الشوشرة السلكية واللاسلكية ، فى الموعد المحدود لهذا ؟!

ولثوان ، ظلَّ (هولدشتاين) يضع سمَّاعة الهاتف على أذنه ، ثم لم يلبث أن خفضها ، قائلاً فى عصبية :

- الاتصالات مقطوعة بالفعل .

ثم عقد كفيه خلف ظهره ، وهو يتحرَّك فى الحجرة ، مستطردًا فى حدة :

- لقد فعلها (نور) .. فعلها هذه المرة أيضًا ..

أراهن على أنه الآن فى مكان ما ، يستعد للانقضاض علينا ، مع طغمة من رجال المقاومة الفرنسية .

ثم أدار عينيه إلى (طارق) ، مستطردًا فى انفعال :

- هل تعتقد أنه سينجح فى اقتحام المستشفى ؟!

قال (طارق) :

- الواقع أننى ..

قاطعه الجنرال ، قبل أن يتمَّ عبارته ، قائلاً فى حدة :

- ربما يشعلون النار ، لإجبارنا على الخروج ، أليس كذلك ؟!

هزَّ (طارق) كتفيه ، وهمَّ بقول شىء ما ، إلا أن (هولدشتاين) أمسك كتفيه فى قوة ، وتطلَّع إلى عينيه مباشرة ، وهو يتابع فى عصبية :

- أو ربما يستخدم الصواريخ لقصف المستشفى .. هل تعتقد أنه سيفعل هذا ؟!

تنهَّد (طارق) وقال :

- ربما .. لست أدرى ، ولكن ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، قاطعه (كارل) هذه المرة ، وهو يهتف بدهشة بالغة :

- وما هذه الصواريخ بالله عليكما ؟!

احتقن وجه (طارق) فى حين أطلق (هولدشتاين) ضحكةً ساخرة ظافرة عالية ، قبل أن يستلَ مسدسه من غمده فى خفة ، ويلصق فوهته بعنق (طارق) ، هاتفاً :

- سل ضابطنا المزيَّف هذا ، فهو لـم ينتبه إلى أن الصواريخ الحربية لم تكن قد وُلِدَتْ بعد ، فى هذا الزمن(*) .

سيطر (طارق) على أعصابه بقدرة مدهشة ، وهو يقول :

- المؤسف أنها خدعة تقليدية قديمة للغاية .

هزَّ (هولدشتاين) كتفيه ، قائلاً فى شماتة ظافرة :

- ولكنك وقعت فيها يا عبقرى المستقبل .

صمت (طارق) لحظة ، ثم ارتسمت ابتسامة هادئة على شفتيه ، وقال :

(*) عرف الصينيون الصواريخ منذ زمن بعيد ، وأشار إليها الرَّحالة الإيطالى (ماركوبولو) ، فى كتابه الشهير ، إلا أن استخداماتها الفعلية لم تبدأ إلا فى نهايات الحرب العالمية الثانية ، عندما أطلق (هتلر) آلاف الصواريخ ، من طراز (ف - ١) ، و(ف - ٢) ، (V - 1) ، (V - 2) ، على (لندن) ، دون أن يحقق له هذا النصر المنشود .

- هذا لا يعنى أنك قد انتصرت .

لم يكد ينطقها ، حتى انزلق بخفة مدهشة ، وخفض رأسه ، ثم انطلقت قبضته كالقنبلة ، فى فك (هولدشتاين) مباشرة ..

وعلى الرغم من قوة (هولدشتاين) وصلابته ، إلاَّ أن اللكمة انتزعته من مكانه ، وألقت به مترين كاملين إلى الخلف ، ليرتطم بالباب ، ويحطِّمه ، ويسقط بين جنديى الحراسة خارجه ..

ومع سقوطه العنيف ، اعتصرت سبَّابته زناد مسدسه ..

وانطلقت رصاصة واحدة ..

رصاصة كانت بمثابة أمر إلى كل جندى فى المنطقة لإطلاق النار ..

وإشعال قتال عنيف ..

بلا حدود ..

★ ★ ★

عندما دوت رصاصة الجنرال (هولدشتاين) فى المنطقة ، كان أوَّل من استجاب لها هو (نور) نفسه ..

لم تكن مبادرة سريعة ، بقدر ما هى حسم لسلسلة



لم يكد ينطقها ، حتى انزلق بخفة مدهشة ، وخفض رأسه ، ثم انطلقت قبضته كالقنبلة ، فى فك (هولدشتاين) مباشرة ..

من التوترات ، تتصاعد من أعماقه ، منذ أوقف السيارة أمام المستشفى ..

إنه لم يشعر بالارتياح قط ، لتحركات الجنود الألمان ، حول المستشفى ، مما جعله يقبض على مدفعه الآلى فى قوة طوال الوقت ..

وعندما دوت رصاصة (هولدشتاين) ، وجد نفسه يقفز من السيارة ، حاملاً مدفعه الآلى ، ويندفع نحو المستشفى ، وقد انزاح من عقله كل شىء ، إلا ضرورة إنقاذ (طارق) و (أكرم) ..

ومع قفزته ، انطلق كل الجنود الألمان ، المحيطين بالمكان ..

وانطلق سيل من الرصاصات بلا انقطاع ..

ولم يدر (نور) كيف سارت الأمور ، وبدا له وكأنه يعيش كابوسًا رهيبًا ، وهو يطلق رصاصات مدفعه ، ويشق طريقه داخل المستشفى ، والرصاصات ترتطم بكل شىء حوله فى عنف ..

وعلى الرغم من دقة الموقف وخطورته ، لم يتوقف عقل (نور) عن التفكير لحظة واحدة .

إنها خدعة ..

حتمًا خدعة ..

(هولدشتاين) لم يغادر المستشفى ، كما بدا للجميع ، وإنما بقى داخله ، ليصنع فخًا شيطانيًا ، للإيقاع بهم ..

ولكن هذا ليس الأمر الوحيد المقلق الآن ..

هناك أمر آخر ، يثير دهشته وحيرته ، مع كل الرصاصات التى تنهال عليه ، من كل صوب ..

إنه لم يصب برصاصة واحدة ..

أو حتى بخدش واحدة ..

صحيح أنه ، ومع كل ما يطلقه من رصاصات ، لم يقتل شخصًا واحدًا ، إلا أن هذا لا يبرِّر إحجام الجنود الألمان عن إصابته فى مقتل ..

ما لم تكن لديهم أوامر مشدَّدة بهذا ..

نعم .. هذا هو المنطق الوحيد ..

إن (هولدشتاين) يسعى للظفر به حيًا ..

لم يكد ذلك الاستنتاج يسرى فى عقله ، ويستقرّ فى وجدانه ، حتى تضاعف الحماس فى أعماقه ، واندفع نحو السلم ، الذى يقود إلى حيث (طارق) و(أكرم) ، و ...

ولكن (هولدشتاين) لم يكن بالغر الساذج ، ليكتفى بمنع جنوده من قتل (نور) ..

لذا ، فقد برز خمسة من الجنود الألمان الأشداء ، من مخبأ خفى ؛ ليعترضوا طريق (نور) ، وكل منهم يشهر مدفعه الآلى فى وجهه ..

وعلى الرغم من كراهية (نور) ، وبغضه الشديد للقتل والتدمير ، إلا أنه لم يجد أمامه بديلاً ..

وأطلق النار ..

واخترقت الرصاصات جسدى اثنين من الجنود ، واقتلعتهما من مكانهما ، ليرتطما بالجدار الخلفى فى عنف ، فى حين أصيب الجندى الثالث برصاصتين ، فى كتفه وذراعه ، وانقضّ الجنديان الباقيان على (نور) فى شراسة رهيبة ..

وهوى (نور) بكعب مدفعه على فك الجندى الأول ، ثم استدار يواجه الثانى ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها سبعة جنود آخرون نحوه ..

وبات من الواضح أن (نور) لن يفوز ، فى هذه المعركة غير المتكافئة ..

لن يفوز أبدًا ..

وفى نفس اللحظات ، التى دار فيها هذا القتال اليائس ، كان (كارل مانهايم) ينتزع مسدسه من غمده ، وهو يهتف :

- أيها الجاسوس الحقير .. كيف تجرؤ على ..

لم يمنحه (طارق) الفرصة لإتمام حديثه ، وإنما وثب فى خفة ، وركله بقدمه اليمنى فى معدته ، ثم دار حول نفسه فى مرونة ، وركله باليسرى فى فكه مباشرة ..

وتراجع (كارل) فى عنف ، ليرتطم بنافذة الحجرة ، إلا أنه لم يلبث أن انقضَّ على (طارق) فى وحشية مخيفة ، صارخًا :

- ستموت أيها الجاسوس .. ستموت جزاء ما فعلت .

قالها ، ومسدسه يرتفع نحو (طارق) ، و..

ويطلق النار ..

وفى هذه المرة ، انحنى (طارق) ، بأقصى سرعة ممكنة ، وسمع أزيز الرصاصة ، وهى تعبر فوق رأسه مباشرة ، لتغوص فى صدر أحد الجنديين ، اللذين اندفعا داخل الحجرة ..

وسقط الجندى مضرجًا فى دمائه ، فى نفس اللحظة التى رفع فيها الجندى الآخر مدفعه ، فى وجه (طارق) ، وصوَّب إليه (كارل) مسدسه مرة أخرى ، وهو يتراجع فى خفة ، صارخًا :

- لن تنجو أيها الجاسوس .. لن ..

أدار (طارق) عينيه بين الرجلين فى توتر بالغ ، وأدرك جيدًا أن موقعه لن يسمح له بتفادى نيرانهما قط هذه المرة ..

وكان هذا يعنى أن فارس الزمن سيلقى مصرعه هناك ..

فى قلب (باريس) المحتلَّة ..

وبعيدًا .. بعيدًا عن زمنه ..

« قفا .. » ..

انطلق الأمر المقتضب ، بلهجة صارمة للغاية ، خرجت من بين شفتى (هولدشتاين) ، الذى وقف ممشوق القامة ، معقود الحاجبين ، وكأنما لم يتعرَّض لأدنى أذى منذ لحظات ..

وبكل غضب الدنيا ، صرخ (كارل) :

- سيِّدى الجنرال .. إنه يستحق الـ ..

قاطعه (هولدشتاين) فى غضب هادر :

- قلت : قفا .. أما زلت تستوعب الألمانية ، أم أنك تميل إلى الروسية يا (كارل) ؟!

احتقن وجه (كارل) فى شدة ، وارتجفت يده

الممسكة بالمسدس ، فى حين خفض الجندى مدفعه الآلى على الفور ، هاتفًا :

- كما تأمر يا جنرال .

ولكن (طارق) لم يضع لحظة واحدة ، فلم يكد الجندى يخفض مدفعه ، حتى وثب نحوه ، وكال له لكمة كالقنبلة ، قبل أن يقفز نحو الباب ، و ..

وانطلقت رصاصة من مسدس (كارل) ..

واخترقت ظهر (طارق) ..

وفى ثورة ، صرخ (هولدشتاين) ، وهو يلطم المسدس من يد (كارل) :

- أيها الغبى .

أما (طارق) ، فقد دفعته الرصاصة إلى الأمام فى عنف ، فارتطم بالباب ، وتشبث به بكل قواه ، وهو يحاول النهوض ، ولكن (هولدشتاين) اندفع نحوه ، وقال فى غضب :

- ألا تيئس أبدًا ؟!

ثم ضمّ قبضته ، وهوى بها على مؤخرة عنق (طارق) ، بكل ما يملك من قوة ..

وفى هذه المرة ، لم يعد جسد (طارق) قادرًا على الاحتمال ..

لقد سقط فاقد الوعى ..

عند قدمى (هولدشتاين) ..

وفى اللحظة نفسها ، اندفع أحد الجنود نحو (هولدشتاين) ، ولهث فى شدة ، وهو يؤدى التحية ، قائلاً :

- تمت السيطرة على الموقف يا سيدى الجنرال .. الآخر سقط فى قبضتنا حيًا .

التقى حاجبا (هولدشتاين) ، واندفع يهبط فى درجات السلم فى سرعة ، حتى بلغ الطابق الأرضى ، ولم تكد عيناه تقعان على (نور) ، الذى سقط فاقد الوعى ، وقد لوثت الدماء جبهته ، حتى اتسعت عيناه فى ظفر ، وهو يغمغم :

- أخيرًا يا (نور) ..

قالها ، وعيناه تتألقان على نحو مخيف ..

لقد حقق انتصارًا هذه المرة ..

انتصارًا كاملاً ..

★ ★ ★

دقّت (مشيرة محفوظ) باب حجرة الفريق فى حذر ، قبل أن تدفعه فى بطء ، وتلقى نظرة داخل الحجرة ..

كانت (سلوى) و (نشوى) غارقتين فى نوم عميق ، فى حين انهمك الدكتور (ناظم) و(رمزى) فى مراجعة خريطة ثقوب الزمن ، على شاشة الكمبيوتر الكبيرة ..

وفى توتر ، تنحنحت (مشيرة) ، هامسة :

- هل أزعجتكما ؟!

التفت إليها الاثنان فى حركة حادة ، وأسرع الدكتور (ناظم) يغلق الكمبيوتر ، وهو يجيب فى عصبية :

- سيِّدة (مشيرة) .. صحيح أنك حصلت على تصريح بالدخول ، ولكن هذا لا يعنى أن تقتحمى المكان دون استئذان .. كان ينبغى أن تطرقى الباب أوَّلاً .

بدا الغضب على وجه (مشيرة) ، وهى تقول :

- لقد فعلت ، ولكن يبدو أنكما كنتما منهمكين للغاية ، حتى أنكما لم تنتبها إلى هذا .

بدا الحرج على وجه الدكتور (ناظم) ، وإن لم يفقد لهجته العصبية ، وهو يقول :

- هل فعلت حقًّا ؟!

انتزع (رمزى) ، من بين إرهاقه ، ابتسامة مجاملة ، وهو يشير إلى (مشيرة) ، قائلاً :

- أهلاً بك يا (مشيرة) .. أخبرينى .. هل أتيت للاستعلام عما توصَّلنا إليه ؟!

هزَّت رأسها نفيًا ، وقالت :

- بل أتيت لأرجوكم أن تبذلوا جهدًا أكبر .

عقد الدكتور (ناظم) حاجبيه فى توتر ، وكأنما لم يرقٍ له السؤال ، فى حين قلب (رمزى) كفيه ، قائلا فى أسى :

- صدقينى يا (مشيرة) .. إننا نبذل قصارى جهدنا بالفعل .

هزَّت رأسها فى قوة ، قائلة :

- هذا لا يكفى .

وقبل أن يسألها أحدهم عما تعنيه ، أخرجت من حقيبتها أسطوانة مدمجة صغيرة ، وهى تندفع نحو أحد أجهزة الكمبيوتر ، قائلة فى انفعال :

- بناء على ما توصَّلت إليه .

دفعت الأسطوانة فى الفراغ الخاص بها ، وقالت وهى تضغط زرِ التشغيل :

- وما سيؤكد لكم مدى خطورة الأمر .

اتجه (رمزى) والدكتور (ناظم) إليها بلهفة قلقة ، والأخير يسألها فى توتر :

- ما الذى توصلت إليه بالضبط يا سيدة (مشيرة) ؟!

أجابته بنفس الانفعال :

- منذ حدثت هذه الكارثة ، ولا همّ لى إلا البحث فى كل السجلات والمراجع التاريخية ، وبالذات تلك التى تتحدث عن الحرب العالمية الثانية ، وفى الآونة الأخيرة ، كشفت وجود أحد المواضع ، على شبكة (الأنترنت) ، يختص بالحرب العالمية الثانية ، وفيه كل وثائقها وصورها ، وحتى أفلامها التسجيلية ، ولقد راجعت كل هذا بنفسى ، خلال الساعات الست الماضية ، بحثًا عن أىّ شىء ، يتعلق بزوجى (أكرم) ، أو (نور) ، أو من تطلقون عليه اسم (طارق) .

سألها (رمزى) :

- وهل عثرت على شىء ؟!

بدت وكأنها تهمّ بالبكاء ، وهى تقول :

- للأسف !

« ولماذا للأسف ؟! »

انطلقت العبارة ، من حيث ترقد (سلوى) ، فالتفت إليها الجميع فى حدة ، ورأوها تغادر الأريكة ، وتتجه نحوهم ، متسائلة فى توتر بالغ :

- ما الذى عثرت عليه ، فى سجلات الماضى يا (مشيرة) ؟!

أشارت (مشيرة) إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلة :

- سترين .

ظهرت على الشاشة عدة وثائق قديمة ، تحمل كلها توقيع (هولدشتاين) ، و(مشيرة) تقول فى انفعال :

- هذه تقريبًا كل الأوراق ، التى حملت توقيع (هولدشتاين) ، منذ بداية الحرب العالمية الثانية ، وحتى نهايتها ، ولقد راجعتها كلها ، وكانت فى انتظارى مفاجأة مخيفة للغاية .

صاحت بها (سلوى) :

- أخبرينا ما لديك يا (مشيرة) .. إنه ليس تحقيقًا صحفيًا .

ضغطت (مشيرة) عدة أزرار فى سرعة ، قائلة :

- لقد عثرت على وثيقة تحمل أسماء (نور) و(طارق) و(أكرم) .

سألتها (سلوى) فى عصبية :

- أيّة وثيقة تلك ؟!

ومع آخر حروف سؤالها ، ظهرت تلك الوثيقة فى

وضوح ، على شاشة الكمبيوتر ، فأدارت (سلوى) عينيها إليها فى لهفة ، فى نفس اللحظة التى هتف فيها (رمزى) ، فى ذعر واضح :

- يا إلهى ! يا إلهى !

أما (سلوى) ، فقد انطلقت من حلقها شهقة قوية ، كادت ترجَّ المبنى بأكمله ..

هذا لأن تلك الوثيقة ، التى تحمل أسماء الثلاثة ، مع توقيع (هولدشتاين) ، كانت تحمل حكمًا .. حكمًا بالإعدام .

* * *



٣ - الإعدام ..

« لقد ألقوا القبض عليهم .. »

ألقى (جولفيه) العبارة فى توتر ، داخل المخبأ الاحتياطى لرجال المقاومة ، فساد الوجوم على نحو عجيب ، وتبادل الجميع نظرات عصبية ، قبل أن يقول أحد الرجال فى حدة :

- إنها خدعة ، لإيهامنا بأنهم لا يعملون لحساب الألمان .

قالت (برجيت) فى صرامة :

- إنهم ليسوا كذلك .

هتف رجل آخر :

- ولكن كيف توصَّل النازيون إلينا ؟!

أجابه (آلان) فى حزم :

- (نور) لم يكن بحاجة للعبة طويلة كهذه ، ليرسل النازيين إلى هنا ، فهو يعرف وكرنا بالفعل ، منذ فترة طويلة ، وكان يمكن أن يقودهم إلينا مباشرة .

بدت الحيرة على وجوههم جميعًا ، وراحوا يتبادلون تلك النظرات العصبية مرة أخرى ، فى حين سألت (برجيت) (جولفيه) فى توتر :

- هل ألقوا القبض عليهم أحياء ؟!

أومأ (جولفيه) برأسه إيجابًا ، وقال فى انفعال :

- نعم ، ولكنهم كانوا مصابين على نحو ملحوظ ، وكلهم فاقدو الوعى .. مسيو (أكرم) لديه إصاباته السابقة ، ومسيو (نور) مصاب بجرح فى جبهته ، أما مسيو (طارق) ، فقد أصابته رصاصة فى ظهره ، و ...

هتفت (برجيت) فى هلع :

- فى ظهره ؟!

زوى (آلان) ما بين حاجبيه فى ضيق ، وهو يسأل (جولفيه) :

- هل نقلوهم إلى مستشفى آخر إذن ؟!

هزَّ (جولفيه) رأسه نفيًا ، وأجاب :

- كلا .. الجنرال (هولدشتاين) أمر بنقلهم إلى (بيت الثعالب) مباشرة .

اتسعت عينا (برجيت) فى ارتياع ، وهى تقول :

- يا إلهى ! إلى بيت الثعالب ؟! إننا لم نسمع عن مقاتل دخل تلك البناية الملعونة ، ونجح فى الخروج منها حيًا .

مطَّ (آلان) شفتيه فى أسى ، فى حين أومأ (جولفيه) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى عصبية ملحوظة :

- يبدو أنك على حق يا (برجيت) .. على حق تمامًا .

امتقع وجهها ، وهى تسأله فى شحوب :

- ماذا تعنى يا (جولفيه) ؟!

تنهَّد الرجل فى أسى ، وأشار بيده ، مجيبًا :

- لقد أصدر الجنرال (فريد ريش هولدشتاين) قرارًا بإعدام ثلاثتهم بالفعل .. عند الفجر .

سرت همهمة عصبية بين الرجال ، فور انتهاء (جولفيه) من عبارته ، فى حين اتسعت عينا (برجيت) عن آخرهما فى ارتياع ، وراح وجهها يزداد امتقاعًا أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

★ ★ ★

انتفض جسد (نور) فى عنف ، عندما ارتطم ماء بارد كالثلج بوجهه ، وانطلقت من حلقه شهقة محدودة ، وهو يهتف :

- يا إلهى !

فتح عينيه عن آخرهما ، ليحدِّق فى وجه (هولدشتاين) ، وابتسامته الظافرة القاسية ، وهو يقول :

- أخيرًا ، استعدت وعيك يا (نور) .. لم أكن أتصوَّر قط أننا سنلتقى مرة أخرى .. فى هذا الزمن على الأقل .

نفض (نور) الماء عن وجهه وشعره ، وهو يقول فى صرامة :

- من يدرى .. ربما كان لقاؤنا هذا وبالاً عليك يا دكتور (خالد) .

ابتسم (هولدشتاين) فى سخرية ، وقال :

- من يدرى ؟!

كان من المدهش حقًّا أن ينطق (نور) عبارته هذه ، فى موقف كهذا ..

لقد كان مقيَّدًا بسلاسل معدنية من معصميه ،

إلى حلقتين قويتين من الصلب ، مثبتتين بجدار زنزانة صغيرة ، وإلى جواره ، وفى الموقف نفسه (طارق) و (أكرم) ، على الرغم من إصاباتهما ، فى حين يجلس (هولدشتاين) على مقعد وثير ، من الواضح أنه تم إحضاره بصفة خاصة ، وخلفه اثنان من الجنود ، يصوِّبان مدفعين آليين قويين إلى (نور) ورفيقيه ، و (هولدشتاين) يتابع ساخرًا ظافرًا :

- المهم أننا التقينا يا عزيزى (نور) ، وأنك قد عدت إلى هذا الزمن .

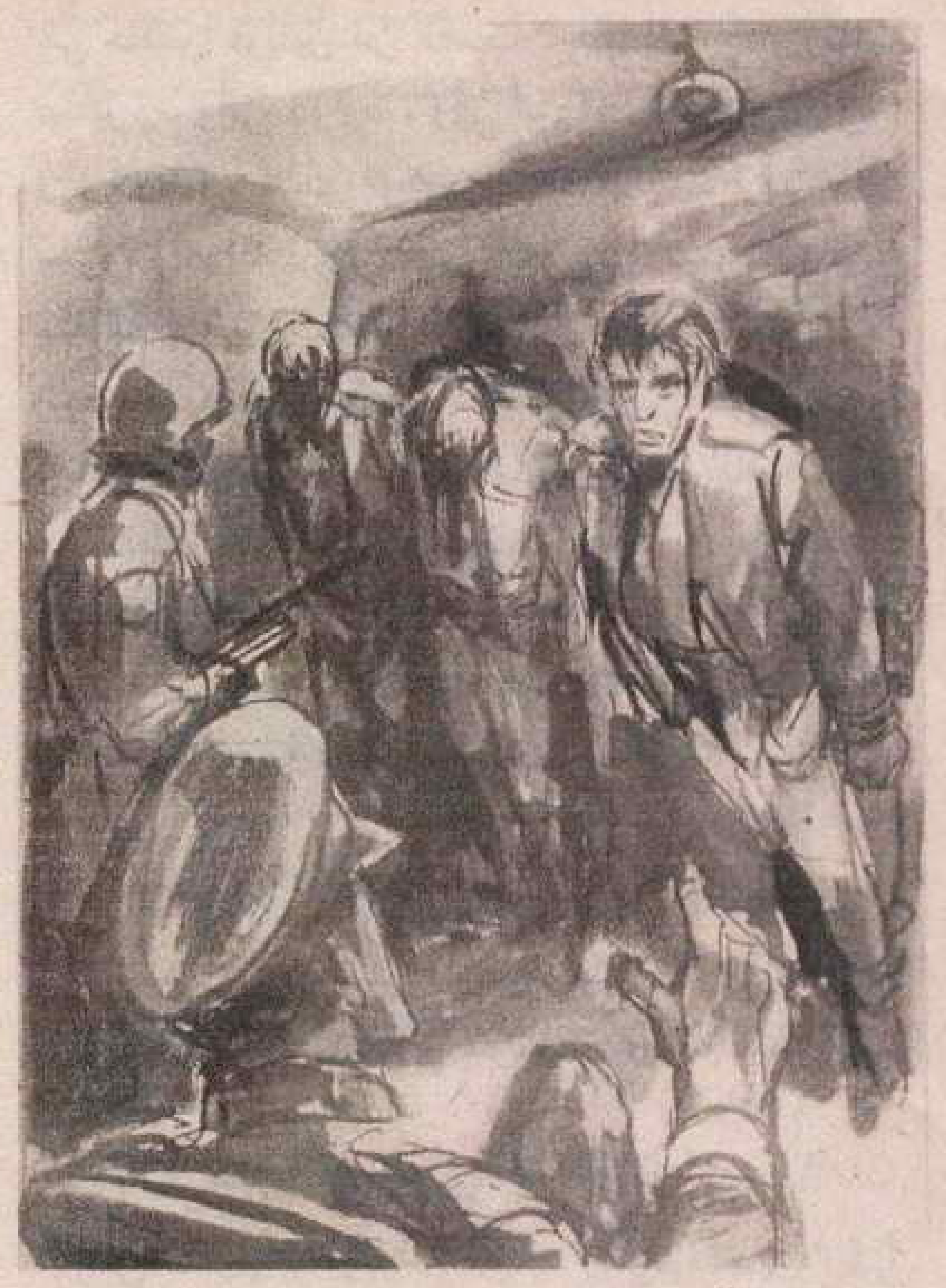
ثم مال نحوه ، وتألَّقت عيناه بوسيلة ما ، وهو يستطرد ، بلهجة ذات مغزى خاص :

- بوسيلة ما .

أدرك (نور) على الفور ما يشير إليه (هولدشتاين) ، فأشاح بوجهه عنه ، ووجد نفسه يتطلَّع مباشرة إلى (طارق) ، الذى بدا سليمًا معافى ، فسأله فى لهفة :

- (طارق) .. أأنت بخير ؟!

نطق السؤال بالعربية ، فأجابه (هولدشتاين) فى سرعة ، باللغة نفسها .



لقد كان مقيدًا بسلاسل معدنية من معصميه ، إلى حلقتين قويتين من الصلب ، مثبتتين بجدار زنزانة صغيرة ، وإلى جواره . .

ـ اطمئن .. كلاهما بخير .. ذلك المستقبلى ، وزميلك العنيف أيضًا .

دفع (نور) رأسه إلى الأمام ، ليلقى نظرة جانبية على (أكرم) ، الذى لوَّح بأصابعه ، وابتسم فى عصبية ، قائلًا :

ـ صدِّق أو لا تصدِّق يا (نور) ، ولكنه يقول الحقيقة .

أطلق (هولدشتاين) ضحكة عالية ، قبل أن يقول :

ـ لقد فقدتم الوعى لساعات طوال ، أمكننى خلالها فحصكم جيِّدًا ، والتوصُّل إلى العديد من الاستنباطات العلمية المنطقية .

وعاد يميل إلى الأمام ، مستطردًا :

ـ زميلكم هذا يحمل فى دمه مصلًا خاصًا ، يضاعف ويقوِّى مناعة الجسد البشرى مائة مرة على الأقل ، وهذا المصل ساعد على أن يلفظ جسده تلك الرصاصة ، التى أصابته فى ظهره ، وعلى أن يلتئم جرحه بسرعة مدهشة ، حتى ليبدو وكأن أيامًا عدة قد مرَّت ، منذ أصابته الرصاصة .. ولأننى أعرف مصل (التريبولا) هذا جيِّدًا ، على الرغم من عراقته ، بالنسبة لشخص

أتى من زمنى ، فقد استخدمت بعض التكنولوجيا المتطوّرة ، التى حملتها من عصرى إلى هنا ، لاستخلاص مادته الفعّالة ، وحقن جزء منها فى جسد زميلك الآخر ، فالتأمت جراحه بسرعة مدهشة أيضًا ، مما شجعنى على حقن الجزء المتبقّى من المادة الفعّالة فى عروقى .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وأدار عينيه بحركة حادة إلى (طارق) ، وهو يقول لـ (هولدشتاين) فى بطء متوتر :

- إذن فأنت تعرف مصل (التريبيولا) هذا جيدًا .

لوّح (هولدشتاين) بيده ، قائلاً :

- بالتأكيد .

أما (طارق) ، فقد ظلّ جامدًا صارمًا لحظة ، قبل أن يقول فى حزم :

- نعم .. إنه يعرفه يا (نور) .

أطلّ غضب واضح من ملامح (نور) وصوته ، وهو يقول :

- هذا يغيّر كل شىء .

وضع (هولدشتاين) إحدى ساقيه فوق الأخرى ،

وراح يراقبهما فى اهتمام بالغ ، و(طارق) يومئ برأسه موافقًا فى صمت ، فقال (نور) :

- كم يؤسفنى أن منحتك ثقتى كاملة .

رفع (طارق) عينيه إليه فى هلع ، هاتفًا :

- أنا لم أخن ثقتك قط أيها القائد .. إننى ...

قاطعه (أكرم) فى صرامة عصبية ، وهو يقول بالعربية :

- (طارق) .. (نور) .. استمعا إلى نصيحتى ، وتوقّفا عن مناقشة هذا الأمر الآن ؛ فذلك الوغد يراقبكما فى اهتمام ، فى محاولة لاستخلاص بعض الحقائق من خلال تشاحنكما .

أطبق الاثنان شفاههما على الفور ، فى حين اعتدل (هولدشتاين) فى مجلسه بحركة حادة ، قائلاً فى غضب :

- الوغد ؟!

ثم هبّ من مقعده فى سرعة ، وقبض على عنق (أكرم) بأصابع كالفولاذ ، مستطردًا :

- الوغد هو أنت يا سيّد (أكرم) .. أنت الذى قالت عنه كتب التاريخ ، إنه أكثر رجال المخابرات همجية ، فى القرن الحادى والعشرين كله .

اتسعت عينا (أكرم) فى دهشة ، وهو يقول :

- أنا ؟! أنا قالت عنى كتب التاريخ هذا .

ثم لم يلبث أن تطلَّع إلى (هولدشتاين) ، مستطردًا فى اهتمام :

- ولكننى واثق من أنهم سيصنعون لك تمثالاً فى المستقبل .

تراجع (هولدشتاين) ، قائلاً فى زهو نرجسى :

- لست أشك فى هذا .

انفجر (أكرم) ضاحكًا بسخرية مفاجئة ، وهو يقول :

- تمثال أكثر الغزاة حماقة ، فى كل العصور .

احتقن وجه (هولدشتاين) فى غضب ، ولكم (أكرم) فى معدته بكل قوته ، صائحًا :

- ما ذكروه عنك كان حقيقيًا .

هتف (نور) فى غضب :

- من السهل أن تبدى قوتك وسلطتك ، مع شخص مقيَّد إلى الجدار .

لوَّح (هولدشتاين) بيده ، وقال وهو يستدير ، عائدًا إلى مقعده :

- أنت تعلم أننى لا أمتلك مثالياتك الطريفة يا عزيزى (نور) :

ثم جلس على مقعده ، وعاد يضع إحدى ساقيه فوق الأخرى ، متابعًا :

- والآن دعونى أخبركم ما توصَّلت إليه .. إن زميلكم (طارق) هذا لا ينتمى إلى عصركم ، بدليل وجود مصل فى دمائه ، لن يتم كشفه ، قبل خمسين عامًا من زمنكم على الأقل ، وهذا يعنى أنه صاحب مركبة الزمن ، التى حملتكم إلى هنا .

وأدار عينيه إلى (طارق) ، قائلاً فى صرامة :

- أتوافقنى على استنتاجى هذا ؟!

صمت (طارق) لحظة ، تعلَّق به خلالها بصرا (نور) و(أكرم) ، قبل أن يقول فى هدوء ، بدا مستفزًا للغاية :

- أوافقك تمامًا .

غمغم (أكرم) فى غضب :

- اللعنة !

أما (نور) ، فقد تطلَّع إلى (طارق) فى حيرة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين هبَّ (هولدشتاين) من مقعده مرة أخرى ، وجذب (طارق) من سترته فى عنف ، قائلاً :

- وأين هى ؟!

سأله (طارق) ، بنفس الهدوء المستفز :

- ما الذى تتحدَّث عنه ؟!

صاح به فى انفعال غاضب :

- آلة الزمن .. المركبة التى أتت بكم إلى هنا .. الـ ..

قاطعه (طارق) فى سرعة :

- لقد تحطَّمت .

انتفض جسد (هولدشتاين) فى عنف ، وهتف :

- تحطَّمت .

كتم (أكرم) أنفاسه بشدة ، وهو يتساءل : تُرى هل يصدِّق (هولدشتاين) هذه القصة الساذجة ، أم .. ؟!

أما (نور) ، فقد بذل قصارى جهده ، ليخفى انفعالاته فى أعماقه ، وهو يتطلَّع إلى وجه (هولدشتاين) المحتقن ، والذى امتلأ بالدماء ، حتى كاد ينفجر ، قبل أن يصرخ الرجل فى وجه (طارق) فى قوة ، بدت وكأنها تكفى لهدم الجدار :

- كاذب ..

ثم دار على عقبيه بحركة عسكرية عنيفة ، صارخًا :

- أيها الجنديان .

رفع الجنديان مدفعيهما الآليين فى وجوه أبطالنا الثلاثة ، فى سرعة مخيفة ، فهتف (أكرم) مرة أخرى :

- اللعنة ! اللعنة !

أما (نور) و(طارق) ، فقد خُيِّل إليهما أنهما يشهدان آخر لحظة فى عمريهما .

آخرها على الإطلاق ..

ولكن (هولدشتاين) أشار للجنديين بالتوقُّف ، وهو يقول لهم فى غضب :

- استمعوا إلىَّ جيِّدًا .. بإشارة واحدة من يدى ، سيفرغ هذان الجنديان رصاصات مدفعيهما فى أجسادكم ، دون شفقة أو رحمة .. وبإشارة أخرى ، سيأتى فريق خاص إلى هنا ، ليتولَّى تعذيبكم بلا هوادة ، حتى يحصل على اعتراف كامل من أحدكم ، أو تلقوا مصرعكم جميعًا ، بأبشع وسيلة ممكنة .

وعقد كفيه خلف ظهره ، قبل أن يتابع ، فى غضب صارم ، قاس ، عنيف :

ـ ولتعلموا أننى قد وقعت أمرًا بإعدامكم جميعًا ، مع فجر الغد ، ولقد كنت أتصور أننى لن أحتاج إلى تنفيذ هذا الأمر ، ولكن يبدو أنكم لم تتركوا لى خيارًا آخر .

وفى حركة حادة ، التفت إلى الجنديين ، قائلاً :

ـ اطلبوا فريق التعذيب .. الآن .. أخبروهم أننى أريد اعترافًا واحدًا على الأقل ، وإلا ..

وأدار عينيه مرة أخرى إلى (نور) و (طارق) و (أكرم) ، مستطردًا بلهجة مخيفة :

ـ فليتم تنفيذ حكم الإعدام .. مع الفجر .

قالها ، واندفع يغادر الزنزانة ، تاركًا الثلاثة خلفه ، ينتظرون مصيرًا رهيبًا ..

رهيبًا للغاية ..

★ ★ ★

« لا .. لا يمكننى أن أصدق هذا !! »

هتفت (سلوى) بالعبارة فى ذعر ، وهى تحدق فى شاشة الكمبيوتر ، قبل أن تلوح بذراعها كلها ، مستطردة فى هلع :

ـ لا يمكن أن يكون هذا مصيرهم .

أمسك بها (رمزى) ، محاولاً تهدئتها ، وهو يقول :

ـ لا يمكننا أن نجزم بأى شىء الآن يا (سلوى) .

صاحت فى انهيار ، وهى تشير إلى الشاشة :

ـ ماذا تقول يا (رمزى) ! الحكم واضح أمامك .

هتف بها :

ـ إنه مجرد حكم .

تطلع إليه الجميع فى دهشة ، حتى (نشوى) ، التى استيقظت على صياح أمها ، وتساءلت فى توتر بالغ :

ـ ماذا حدث ؟!

أما (مشيرة) ، فهتفت فى لهفة :

ـ ماذا تعنى يا (رمزى) ؟! ماذا تعنى ؟!

أدار عينيه فى وجوههم جميعًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ أعنى أن ما رأيناه مجرد حكم بإعدام (نور) و (أكرم) و (طارق) ، بتوقيع الجنرال (هولدشتاين) .

شهقت (نشوى) فى ذعر ، هاتفة :

ـ حكم بإعدامهم ؟! يا إلهى !!

أشار بسبابته فى حزم ، قائلاً :

- مجرد حكم .

ثم عاد يدير عينيه فى وجوههم ، مضيفًا فى صرامة :

- وليس إقرارًا بالتنفيذ .

هتف الدكتور (ناظم) فى حماس :

- يا إلهى ! أنت على حق يا (رمزى) .

أما (مشيرة) ، فقد ارتجف صوتها ، وهى تقول :

- مازلت لم أستوعب الأمر تمامًا .

أجابها (رمزى) فى حماس :

- الأمر بكل بساطة ، هو أن ما لدينا يشير إلى أن (هولدشتاين) قد أوقع بالجميع ، وأصدر حكمًا بإعدامهم ، ولكننا لا نعلم ما إذا كان قد نجح فى تنفيذ هذا الحكم أم لا .. عشرات الأشياء يمكن أن تحدث ، ما بين إصدار الحكم وتنفيذه .. إننا نتحدَّث عن (نور) و(أكرم) و(طارق) .. عن ثلاثة رجال فى صلابة الفولاذ ، وقوة الأسود ، وصمود البواسل .. ورجال كهؤلاء ليس من السهل أبدًا أن يستسلموا لموقف كهذا .. إنهم سيقاتلون ، ويقاتلون ، حتى آخر نقطة دم .

ارتجف صوت (سلوى) ، وهى تقول :

- ربما كان هذا ما حدث بالفعل .

أشار بيده ، قائلاً :

- أو ما سيحدث .. لا أحد يدرى .

هزَّت (نشوى) رأسها ، قائلة فى مرارة :

- المؤسف أننا لا نملك ما نفعله من أجلهم .

أجابها فى حزم :

- لو أننا اكتفينا بالبكاء والصراخ والأسى ، فلن نملك بالفعل ما يمكن أن نفعله من أجلهم ، أما لو ألقينا هذا خلف ظهورنا ، ووضعنا هدفًا واضحًا نصب أعيننا ، وبذلنا قصارى جهدنا من أجل بلوغه ، فربما كان هذا خير عون لهم ، فى أى زمن يبلغونه .

ران صمت ثقيل على المكان ، قبل أن تغمغم (نشوى) :

- أنت على حق يا (رمزى) .

أجاب فى سرعة :

- عظيم .. دعونا نعد إذن خطة العمل .

ثم التفت إلى الدكتور (ناظم) ، مستطردًا فى حزم :

- وباعتبارى قائد الفريق رسميًا ، فى غياب (نور) ، فإننى أطالبك بالقيام بالخطوة الأولى ، اللازمة لنجاح عملنا يا دكتور (ناظم) .

سأله الرجل فى اهتمام :

- وما هى ؟!

أشار إلى (مشيرة) ، مجيبًا فى صرامة :

- سحب التصريح الخاص ، الذى تم منحه للسيِّدة (مشيرة) ، والذى يسمح لها بالقدوم إلى مقر الفريق .

اتسعت عيون الجميع فى دهشة ، وهتفت (مشيرة) فى غضب مستنكر :

- ماذا تقول يا (رمزى) ؟!

أجابها فى حزم :

- أقول ما يمليه على واجبى كقائد للفريق ، وما يحتمه علىَّ عملى كخبير فى الطب النفسى .. وفى الحالين لا وجود للمجاملة أو اللياقة يا عزيزتى (مشيرة) .

صاحت به فى حدة :

- (رمزى) .. هل تدرك ما تقوله ؟!

أجاب فى حزم أكثر :

- بالتأكيد .. أنت شديدة التوتر مثلنا جميعًا ، بسبب ما يواجهه زوجك ، وتسعين لجمع كل المعلومات الممكنة عن موقفه ، ولقد أرشدتنا بالفعل إلى الزمن ، الذى يمكن التوجَّه إليه عند اللزوم ، وهذا يكفيك كثيرًا ، ولسنا نحتاج إلى أية معلومات إضافية ، ما دام هذا لن يؤدِّى إلا لانعكاس حالة التوتر البالغة لديك علينا ..

قالت فى غضب :

- كنت أظننى جزءًا من الفريق .

دفعها نحو الباب فى رفق (حازم) ، وهو يقول :

- ونحن نرحب بك فى كل وقت يا (مشيرة) ، ولكن ليس فى مثل هذه الظروف .. إننا فريق علمى ، ونحتاج إلى كل الهدوء والنظام ، لنؤدى دورنا كما ينبغى .

هتفت :

- اسمع يا (رمزى) .. إننى ..

قاطعها الدكتور (ناظم) هذه المرة ، فى صرامة بالغة :

ـ لا فائدة من المناقشة يا (مشيرة) .
ثم ضغط زر كمبيوتر الأمن ، مستطردًا :
ـ أنا الدكتور (ناظم) .. بمقتضى السلطة الممنوحة لى ، ألغى التصريح الخاص بالسيِّدة (مشيرة محفوظ) ، اعتبارًا من هذه اللحظة .
وضغط زرًا آخر ، فأتاه صوت الكمبيوتر الآلى ، يقول :
ـ تم إلغاء التصريح .
احتقن وجه (مشيرة) بشدة ، وهى تقول فى غضب :
ـ لن أغفر لك هذا قط يا (رمزى) .
دفعها خارج الحجرة فى حزم هذه المرة ، قائلاً :
ـ بالتأكيد يا (مشيرة) .. بالتأكيد .
وأغلق الباب خلفها فى رفق ، قبل أن يلتفت إلى رفاقه ، مستطردًا :
ـ والآن ، دعونا نعدَ خطة العملِ يا سادة .. (سلوى) ستكمل دراستها لكل ملفات المقاتلة الزمنية ، فى محاولة لكشف أسرار ثقوب الزمن ، أما (نشوى) ، فعليها البحث عن المرأة ، التى يمكن أن

تكون فارس الزمن الثانى .. أما أنت يا دكتور (ناظم) ، فعليك أن تبحث عما يعاوننا على كشف تلك المرأة المجهولة ، إذ أن التوصل إليها سيساعد على كشف الكثير والكثير من الغموض ، وربما يقودنا إلى وسيلة استعادة رفاقنا .
غمغمت (سلوى) ، وهى تجلس أمام جهاز الكمبيوتر الخاص بها :
ـ يارب .
وأومأ الدكتور (ناظم) برأسه متفهمًا ، قبل أن يقول فى حزم :
ـ فليكن أيها السادة .. ابذلوا جهدكم هنا ، وسأبذل جهدى هناك .
قالها ، واندفع نحو الباب ، وأضاف ، وهو يغادر الحجرة :
ـ وفقكم الله (سبحانه وتعالى) .
أغلق الباب خلفه ، فران على الحجرة صمت عجيب ، وكل منٍ فيها ينهمك فى عمله فى اهتمام بالغ شديد ، فتنفس (رمزى) الصعداء ، على الرغم من أن عاصفة عاتية كانت تنطلق فى أعماق عقله ..

عاصفة تكمن فى سؤال واحد ..
تُرى هل نجح (هولدشتاين) فى تنفيذ حكم الإعدام بالفعل ؟!
هل ؟!

★ ★ ★

أطلّت نظرة صارمة حادة ، من عيون الحارسين المسلحين ، داخل الزنزانة الضيقة ، التى تضمّ (نور) و (طارق) و (أكرم) ، المقيدين إلى الجدار ، والأخير يغمغم فى عصبية :
ـ هل سنستسلم لهذا الأمر ؟!
قال (طارق) بالعربية :
ـ وما الذى بيدنا لنفعله ؟!
قال (نور) :
ـ إننى أعتصر عقلى ، للبحث عن مخرج .
صاح بهم أحد الجنود فى صرامة :
ـ توقّفوا عن الحديث ، وإلاّ ..
قاطعه (طارق) فى سرعة ، بلغة ألمانية سليمة :
ـ اقترب أيها الحارس .
صاح الرجل فى غضب :

ـ اصمت أيها السجين .
قال (طارق) فى لهجة آمرة :
ـ قلت : اقترب .. لدى أمر مهم ، ينبغى أن تعرفه ، وسأحملك المسئولية كاملة ، أمام الجنرال (هولدشتاين) ، لو لم يَبْلغه ما لدى .
تبادل الجنديان نظرة قلقة ، ثم أشار الثانى لزميله بيده ، ورفع مدفعه الآلى ، مصوّبًا إياه نحو الثلاثة ، فى تحفز تام ، فى حين اقترب الأوّل من (طارق) فى حذر ، متسائلاً :
ـ ماذا لديك ؟
تطلّع (طارق) إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول :
ـ هذا المكان ضيق للغاية .. أليس كذلك ؟!
أراد الجندى أن يجيب بعبارة صارمة ، أو سباب قاس ، إلا أن شيئًا ما ، فى عينى (طارق) ، ألجم لسانه على نحو عجيب ، وجعله يحدّق فى العينين المتطلعتين إليه ، واللتين بدتا وكأنهما تتسعان ..
وتتسعان ..
وتتسعان ..
أما صوت (طارق) ، فقد بدا له وكأنه يأتى من

أعمق أعماق مخه ، وهو يواصل حديثه ، قائلاً فى بطء :

ـ إنه لا يناسبنا جميعًا .. إنه يزداد ضيقًا .. ويزداد .. ويزداد ..

تراخت عضلات الجندى فى رفق ، وشعر بخدر يسرى فى جسده ، وينطلق فى عروقه ، ويجرى فيها مجرى الدم ، وراح عقله يغوص فى بئر عميقة ..

ويغوص ..

ويغوص ..

ولكن زميله شعر بتوتر بالغ ، من ذلك الجمود المباغت ، الذى أصاب زميله ، فصاح فى عصبية ، وهو يلوّح بمدفعه الآلى :

ـ كفى .. لا تتحدَّثوا بحرف واحد .

ثم اندفع نحوهم مكررًا فى انفعال جارف :

ـ كفى .

تشبَّث (نور) بأغلال معصميه ، وقفز بقدمه ، يركل المدفع الآلى من يد الجندى المندفع ، فى حين وثب (أكرم) بالطريقة نفسها ، وركل الجندى فى معدته وفكه ، فى آن واحد ، وهو يهتف فى حماس :

ـ أحسنت يا (نور) .

سقط الجندى أرضًا فى عنف ، وانتفض جسد الجندى الآخر ، وكأنما انتزعه الانفعال مما أصابه ، إلا أن (طارق) حافظ على صوته الهادئ العميق ، وهو يقول له :

ـ لم يحدث شىء .. أنت لم تر أو تشعر بأىّ شىء .. كل الأمور تسير على ما يرام .. كل الأمور .

استعاد جسد الجندى هدوءه واسترخاءه ، وعاد يتطلّع إلى عينى (طارق) العميقتين ، فقال هذا الأخير ، فى بطء شديد :

ـ حل وثاق القائد (نور) .

أدار الجندى عينيه فى بطء ، إلى حيث أشار (طارق) ، ثم قال بصوت حائر :

ـ لست أمتلك مفاتيح القيود .

أجابه (طارق) :

ـ استخدم أية وسيلة .

تمتم الجندى :

ـ أية وسيلة ؟!

أجابه فى حزم :

- نعم .. أية وسيلة .

صمت الجندى لحظة ، ثم رفع مدفعه نحو الأغلال المعدنية ، فهتف (أكرم) مذعورًا :

- ماذا ستفعل أيها الغبى ؟!

وقبل حتى أن يتمّ عبارته ، ضغط الجندى زناد مدفعه الآلى ..

وانطلقت الرصاصات ..

وعبر كل شبر من بيت الثعالب ، دوى صوت الرصاصات ..

وكان هذا إيذانًا بفتح أبواب الجحيم على مصراعيها .. كل الأبواب .





٤ - الجحيم ..

اعتدلت الدكتورة (إلهام) ، خبيرة التفاعلات الحيوية ، بإدارة البحث العلمى ، فى مقعدها ، وأدارت عينيها نحو باب حجرتها ، استجابة لإشارة الرتاج الآلى ، وقالت عبر جهاز اتصال داخلى :

- من الطارق ؟!

أتاها عبر الجهاز نفسه صوت الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

- الدكتور (ناظم) شخصيًا .

أغلقت جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وقالت بابتسامة هادئة :

- تفضّل يا دكتور (ناظم) .. إنك تمتلك كل شفرات الدخول ، بحكم منصبك .

مضت لحظة من الصمت ، ثم انزاح الباب فى هدوء ، وعبره الدكتور (ناظم) ، قائلاً فى جدية :

- مساء الخير يا دكتورة (إلهام) .. من حسن الحظ

أنك تعملين لوقت متأخر هنا ، فنحن بحاجة إلى خبراتك .

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ كلنا هنا رهن إشارتك يا دكتور (ناظم) .

جلس على المقعد المقابل لها ، ونقر بأصابعه على منضدة البحث فى توتر ملحوظ ، جعلها تسأله فى اهتمام :

ـ هل الأمر بهذه الخطورة ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ إنه كذلك .

ثم مال نحوها ، مستطردًا فى حزم :

ـ وهو بالغ السرية أيضًا ، حتى إنه من المهم جدًّا ألا يتجاوز ما سنقوله جدران هذه الحجرة .

بدت الجدية على وجهها ، وهى تقول :

ـ بالتأكيد .

التقط نفسًا عميقًا ، ثم راح يروى لها كلَّ ما يهمها معرفته ، بخصوص (طارق) ، ورحلة الزمن ، وهى تستمع إليه فى اهتمام بالغ ، وانبهار واضح ، حتى انتهى من روايته ، فسألته منفعلة :

ـ أأنت واثق من أنها ليست وقائع قصة متقنة ، من قصص الخيال العلمى ؟!

هزَّ رأسه نفيًا ، وتنهَّد فى توتر ، مجيبًا :

ـ المؤسف أن كل ما سمعته مجرَّد حقائق محضة يا دكتورة (إلهام) .

ارتفع حاجباها ، واتسعت عيناها ، وهى تغمغم مبهورة :

ـ يا للهول !

ثم جاء دورها لتميل نحوه ، مستطردة :

ـ ولكن ما الذى يمكننى منحكم إياه ، فى هذا الشأن ؟

كرَّر قوله الأوَّل :

ـ إننا نحتاج إلى خبراتك .

سألته حائرة :

ـ فيم ؟!

لوَّح بسبَّابته ، مجيبًا :

ـ فى تحديد هويةَ فارس الزمن الثانى .

ارتفع حاجباها مرة أخرى ، وتعلَّقا فى جبهتها لحظة ، قبل أن ينخفضا ، وينعقدا على نحو قلق ، وهى تسأل فى حذر :

- كيف ؟!

أخرج من جيبه أسطوانة صغيرة ، قائلاً :

- (نشوى) و (سلوى) نجحتا ، فى استخلاص كل المعدّلات الحيوية لذلك الفارس الثانى ، والكمبيوتر يرجّح أن يكون امرأة وليس رجلاً ، ولكن البحث فى ملفات كل الذين تنطبق عليهم هذه الصفات يحتاج إلى وقت ضخم للغاية ، أما لو استخدمت خبراتك الخاصة بالتفاعلات البشرية الحيوية ، فربما أمكنك اختصار القائمة إلى الربع ، أو أدنى من هذا .

ازداد انعقاد حاجبيها ، وهى تقول :

- نعم .. ربّما .

ثم التقطت الأسطوانة المدمجة من بين أصابعه ، وأشعلت جهاز الكمبيوتر مرة أخرى ، قبل أن تدسّها فى الفراغ الخاص بها ، قائلة :

- التفاعلات الحيوية أمر معقّد للغاية يا دكتور (ناظم) ، على الرغم من البساطة التى يبدو عليها ، فطلاب المرحلة الثانوية ، ومدارس الطب ، وحتى رواد الفضاء ، يقومون بدراسة الخطوط العريضة لتلك التفاعلات ، وبعضهم يغوص شبرًا فيها ، فيتوهم أنه

قد بلغ الأعماق ، على الرغم من أن تلك الأعماق سحيقة للغاية .

ابتسم فى توتر ، مغمغمًا :

- نظرة فلسفية أنيقة .

ضغطت بعض الأزرار ، قائلة :

- بل نظرة علمية محضة يا دكتور (ناظم) .

وبدا عليها الاهتمام ، وهى ترصد محتويات الأسطوانة المدمجة ، قبل أن تقول :

- إنها تبدو بالفعل أشبه بالتفاعلات الحيوية لامرأة .

تنهّد الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

- عظيم .

إلاّ أنها استدركت فى سرعة :

- ولكنها ليست كذلك !

هتف مبهوتًا :

- ماذا ؟!

أكملت فى اهتمام :

- إنها تخصّ رجلاً ضئيل الحجم ، أو ..

صمتت لحظة ، فسألها فى لهفة :

- أو ماذا ؟!

راجعت البيانات ببصرها مرة أخرى فى سرعة ، قبل أن تجيب فى حزم واثق :

- أو أنه فى حالة سبات صناعى (*) .

هتف الدكتور (ناظم) :

- سبات صناعى ؟! يا إلهى ! لم يخطر هذا ببال أحدنا قط .

أشارت إلى الشاشة ، قائلة :

- ولكنه احتمال مرجَّح للغاية ، وربما يقودنا إلى احتمال أكثر خطورة .

جفَّ حلق الرجل ، وهو يسأل :

- أى احتمال هذا ؟!

أجابته فى اهتمام :

(*) السبات الصناعى : حلم يراود علماء الفضاء ، منذ بدأت رحلات السفر عبر النجوم ، وهو يعتمد على تجميد الجسم البشرى ، أوخفض معدَلاته الحيوية إلى أدنى حد ممكن ، خلال الرحلات الفضائية إلى النجوم البعيدة ، والتى تستغرق عدة مئات من السنين ، بحيث لا يمضى العمر برواد الفضاء ، خلال تلك الرحلات ، فيصلون إلى أهدافهم فى أعمار شابة ، تمكنهم من أداء مهماتهم ، والعودة إلى عالم جديد ، مرَّت عليه قرون عديدة ، ولقد أجريت تجارب كثيرة فى هذا الشأن ، دون أن تحقق سوى نجاحات محدودة للغاية ، لا تفى بالغرض .

- لو أن (طارق) أيضًا خضع لذلك السبات العميق ، داخل المقاتلة الزمنية ، فهذا يعنى أن تلك المعدَلات ، التى تم رصدها ، من سجلاَّت المقاتلة ، لا تصلح لشخصين فحسب .

ثم استدارت إليه فى بطء ، مستطردة :

- ولكن لأربعة .

انتفض جسد الدكتور (ناظم) فى عنف ، وحدَّق فى شاشة الكمبيوتر فى ذهول ، كاد يبلغ حده الأقصى ..

فالواقع أن تلك النتائج ، التى توصَّلت إليها الدكتورة (إلهام) ، خبيرة التفاعلات الحيوية ، كانت خطيرة ومذهلة ..

إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

حطَّمت رصاصة الجندى أغلال (نور) ، ولكن دويَها تردَّد فى كل ركن من بيت الثعالب ، فهتف (أكرم) :

- يا إلهى ! أراهن على أن الجيش الألمانى كله يهرع إلى هنا الآن .

اختطف (نور) بندقية الجندى ، قائلاً :

ـ وهذا يعنى ضرورة أن نتحرَّك بأقصى سرعة .

وقبل حتى أن يتمّ عبارتـه ، كـان يطلق النـار على أغلال (طارق) و (أكرم) ، فوثـب الثـانى يلتقـط المدفع الآلـى ، من يد الحارس الفاقد الوعى ، فـى حين هتف (طارق) ، فى الحارس المنوَّم مغنطيسيًّا :

ـ اسقط .

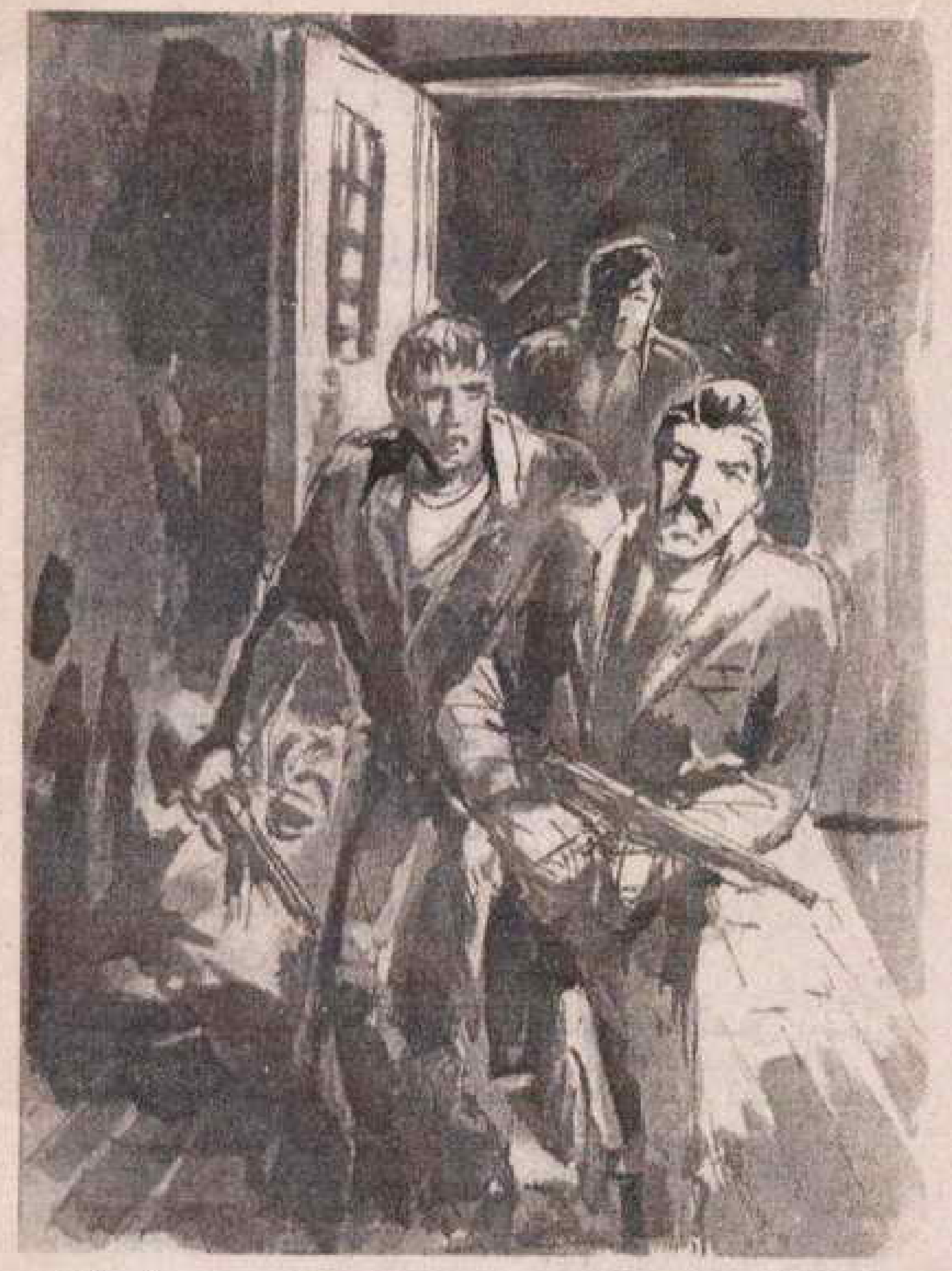
لم يكد ينطقها ، حتى هوى الحارس فاقد الوعى ، كأنما أصابته لطمة قوية ، فى نفس اللحظة التـى تعالى فيها وقع أقدام ، تعدو مقتربةً من الزنزانـة ، فهت (نور) :

ـ يبدو أنه لا مفرّ من القتال .

لم يكن (أكرم) بانتظار عبارتـه ، وهو يثب إلى خارج الزنزانة ، حاملاً المدفع الآلى فى حزم وتحفُّز ، ولكن (طارق) لحق به ، هاتفًا :

ـ لا .. ربما لن نضطر للقتال .. الحقا بى .

قالها ، واندفع يعدو فى اتجاه مضاد لمخرج القبو ، الذى يحوى زنزانتهم ، فهتـف (أكـرم) فـى حـدة عصبية :



لم يكن (أكرم) بانتظار عبارته ، وهو يثب إلى خارج الزنزانة ، حاملاً المدفع الآلى فى حزم وتحفُّز ، ولكن (طارق) لحق به ..

- إلى أين أيها المتحذلق ؟!

دفعه (نور) أمامه ، قائلاً :

- اتبعه يا (أكرم) ، فمن الواضح أنه يعلم الكثير .

التقى حاجبا (أكرم) فى توتر ، ولكنه أطاع (نور) ، وراح يعدو معه خلف (طارق) ، الذى اتجه إلى حجرة فى نهاية القبو ، وأخذ يعالج رتاجها فى سرعة ومهارة ، راقبهما (نور) فى اهتمام بالغ ، فى حين اقترب وقع الأقدام أكثر وأكثر ، فالتفت (أكرم) نحوهما ، صائحًا فى حنق :

- أسرع يا رجل .. أسرع .

بدا ثلاثة من الجنود الألمان ، فى هذه اللحظة ، فضغط (أكرم) زناد المدفع الآلى ، وفتح النار فى غزارة ، هاتفًا :

- لا مفرَّ من القتال .

انطلقت رصاصاته كالمطر ، وجاوبه الألمان بسيل من الرصاصات ، وإن عجزوا عن تصويب رصاصاتهم ، وهم يختبئون من رصاصات (أكرم) ، الذى هتف بالعربية :

- أسرع يا (طارق) .. أسرع بالله عليك .

انتهى (طارق) من الرتاج فى سرعة ، ودفع الباب فى قوة ، هاتفًا :

- هيا .

وثب الثلاثة داخل الحجرة ، التى أغلقها (طارق) خلفهم فى إحكام ، على الرغم من صوت الرصاصات التى ترتطم بالباب ، ووقع أقدام الجنود النازيين ، الذين يسرعون نحوه ، ويطلقون سيل رصاصاتهم الغاضبة ، وقال (نور) فى صرامة :

- أتعشَّم أن يكون لديك سبب للقدوم إلى هنا يا (طارق) ، فهؤلاء الثائرون فى الخارج ، لن يستغرقوا سوى ثلاث دقائق على الأكثر ، قبل أن يقتحموا الحجرة ، ويغمرونا برصاصاتهم .

غمغم (طارق) ، وهو يتجه نحو الجدار الشرقى للحجرة :

- لدى سبب قوى بالتأكيد أيها القائد .

قالها ، وهو يضغط جزءًا من الجدار ، فدار حول نفسه ، كاشفًا عن فجوة كبيرة ، تقود إلى الحديقة الخلفية للمبنى المجاور ..

وفى دهشة ، هتف (أكرم) :

- يا إلهى ! كيف توصلت إلى هذا الممر السرى ؟!

دفع (نور) (أكرم) أمامه ، وهو يقول فى صرامة :

- فيما بعد يا (أكرم) ، فمن الواضح أن صديقنا (طارق) يعرف الكثير عن هذا العصر .

رمقه (طارق) بنظرة جانبية ، ثم قال ، وهو يعبر الفجوة :

- أسرعا .

كان النازيون يطلقون النار على الرتاج بالفعل ، عندما عبر الثلاثة تلك الفجوة ، وأعاد (طارق) الجدار إلى موضعه ، هامسًا :

- يوجد ثلاثة حراس هنا .

غمغم (أكرم) فى عصبية :

- عظيم .. لكل منا حارس .

تحطم رتاج الحجرة فى تلك اللحظة ، واندفع النازيون داخل الحجرة ، وانطلقت رصاصاتهم نحو كل ركن منها ، قبل أن يهتف أحدهم :

- يا للشيطان !! أين ذهبوا ؟!

احتقن وجه الضابط ، المصاحب للجنود ، وهو يدير عينيه فى المكان ، ثم هتف :

- أطلقوا صفارة الإنذار الكبرى .

سأله أحد الجنود ، فى توتر شديد :

- هل نبلغ الجنرال ؟!

ازداد احتقان وجه الضابط ، وهو يجيب :

- لا مفرّ من هذا .

نطق عبارته هذه ، فى نفس اللحظة ، التى عبر فيها (نور) و (طارق) و (أكرم) تلك الحديقة الخلفية ، واتجهوا فى خفة نحو الحراس الثلاثة ، الذين انهمكوا فى حديث ما ، وهم يدخنون سجائرهم الألمانية ، و ..

وفجأة ، انطلقت صفارة الإنذار فى المبنى ..

واستدار الحراس نحوه فى سرعة متوترة ..

ووقع بصرهم على الثلاثة ..

وكان لا بد من الاصطدام ..

وبقفزة مدهشة ، انقضّ (أكرم) على أحد الحراس الثلاثة ، وركل مدفعه من يده ، وهو يهتف :

- ليس بهذه البساطة أيها الوغد .

أما الحارسان الآخران ، فقد رفعا مدفعيهما الآليين بالفعل ..

وأطلقا النار ..

وبحركة بارعة سريعة للغاية ، انزلق (نور) أرضًا ، وترك الرصاصات تعبر فوق رأسه ، قبل أن يركل ساقى أحد الحارسين ، الذى اختلَّ توازنه ، فسقط على ظهره ، ليتلقَّى ركلة أخرى فى أنفه من (نور) ، فى نفس اللحظة التى حطَّم فيها (أكرم) فك الجندى الأوَّل بلكمة ساحقة ..

(طارق) وحده لم ينجح فى تفادى كل الرصاصات ، على الرغم من وثبته الجانبية المرنة ، فشعر بخيط من النار يخترق كتفه ، قبل أن يبلغ خصمه ، ويمسك ماسورة مدفعه ، ليدفعها إلى أعلى ، قائلاً :

ـ لقد أصبتنى .

ثم انطلقت قبضته نحو وجهه كالصاعقة ، مع استطرادته :

ـ وهذا لا يعنى انتصارًا .

صاح به (نور) ، والحارس الأخير يسقط فاقد الوعى .

ـ هل أصابك حقًا ؟!

كانت إصابة (طارق) تنزف بغزارة ، إلا أنه أجاب فى حزم :

ـ لا تجعل هذا يقلقك .

ثم أشار إلى سيارة عسكرية قريبة ، مستطردًا :

ـ المهم أن نبتعد عن هنا بأقصى سرعة .

انطلق الثلاثة نحو السيارة العسكرية الألمانية ، ووثب (أكرم) إلى مقعد القيادة ، هاتفًا فى جذل عجيب ، وكأنه يستمتع بكل لحظة من لحظات القتال :

ـ أعتقد أننى الشخص المناسب تمامًا لهذه المهمة .

كان فريق من الجنود النازيين يغادر بيت الثعالب ، فى تلك اللحظة ، ويندفع بمدافعه الآلية نحوهم ، فهتف (نور) :

ـ المهم أن تسرع يا رجل .

لم يكن مفتاح السيَّارة فى موضعه ، لذا فقد انتزع (أكرم) جزءًا من أسفل صندوق عجلة القيادة ، قائلاً :

ـ اطمئن يا (نور) .. إننى أعشق تلك الطرز القديمة من السيارات ، وأجيد قيادتها ، وفهم كل جزء منها .

نطق عبارته ، وهو يجذب سلكين من أسفل عجلة القيادة ، ثم يوصلهما أحدهما بالآخر فى سرعة ، فانطلق محرِّك السيارة يهدر ، فى نفس اللحظة ، التى

اندفع فيها النازيون نحوهم ، وهم يطلقون رصاصاتهم فى غزارة ، فهتف (أكرم) ، وهو يجذب عصا السرعة إلى اليمين والخلف :

- هيا أيها الأوغاد ، فلنر من منا أكثر مهارة .

انطلقت بهم السيارة إلى الخلف بأقصى سرعتها ، قبل أن يضغط (أكرم) فراملها ، ويدير عجلة قيادتها فى الوقت ذاته ، فدارت السيارة حول نفسها على نحو مخيف ، وهو يصرخ فى حماس :

- انطلقى يا جميلتى .. بأقصى سرعة .

انطلق صرير مخيف من إطارات السيَّارة ، عندما انتقلت قدمه ، من الفرامل إلى دوَّاسة الوقود ، واندفعت السيارة مبتعدة ، تطاردها الرصاصات النازية ..

وهتف ضابط ألمانى :

- انطلقوا خلفهم .. لا تسمحوا لهم بالفرار .

قفز أربعة جنود إلى سيارة أخرى ، فى حين وثب جنديان آخران إلى دراجتين آليتين ، وانطلق الجميع خلف السيارة ..

ولدهشة (نور) و(طارق) ، أطلق (أكرم) ضحكة جذلة عالية ، وهتف :

- عظيم .. هذا هو المناخ ، الذى يروق لى ..

ابتسم (طارق) ، وهزَّ رأسه ، قائلاً :

- تمامًا مثلما أعرفه .

أما (نور) فقد لاذ بالصمت التام ، وعقله يغرق فى لجَة من الأفكار ، فى حين انطلق (أكرم) بالسيارة العسكرية كالصاروخ ، وخلفه السيارة الألمانية والدراجتان الآليتان ..

كان من الواضح أنه شديد البراعة ، فى قيادة تلك الطرز القديمة من السيارات ، كما أنه شديد الجرأة ، فى محاوراته ومناوراته ، حتى إن قائد السيارة الألمانية الثانية شعر بتوتر بالغ ، عندما عجز عن ملاحقته ، فضغط دوَّاسة الوقود بأقصى سرعة ، محاولاً تجاوز سيارة (أكرم) ، واعتراض طريقها ، ولكن (أكرم) ضغط فرامل سيارته بغتة ، فانخفضت سرعتها على نحو مفاجئ ، مما أربك الألمانى ، فأدار عجلة قيادة سيارته بسرعة ، فى محاولة لتفادى الاصطدام بسيارة (أكرم) ، الذى هتف برفيقيه :

- تشبَّثا .

قالها ، وانحرف بسيارته إلى اليمين فى عنف ،

ليرتطم بمقدمة السيارة الأخرى ، ويدفعها نحو الجدار المجاور ..

وصرخ الضابط الألمانى :

ـ احترس أيها السائق ..

ولكن صرخته جاءت بعد فوات الأوان ؛ إذ اختلّ توازن السيارة ، مع انحرافها المباغت ، فوثبت فوق الإفريز ، وارتطمت بالجدار فى قوة ، وواصلت مسيرتها محتكّة به لبضعة أمتار ، قبل أن تميل على نحو مخيف ، وتنقلب فى عنف ..

وجنّ جنون راكبى الدراجتين الآليتين ، فزادا من سرعتيهما ، وهما يطلقان مسدسيهما خلف سيارة (أكرم) ، الذى بدا وكأنه سعيد بما يحدث ، وهو يطلق ضحكة عالية مجلجلة ، هاتفًا :

ـ رائع .. رصاصات تقليدية بدويها الموسيقى العذب .. كم يروق لى هذا العصر .. لا سيارات صاروخية ، أو مسدسات ليزر ، أو حتى أجهزة كمبيوتر ..

هزّ (طارق) رأسه ، مغمغمًا :

ـ يا إلهى ! حالته أصعب مما كنت أتصوّر بكثير .

انحرف (أكرم) إلى طريق جانبى ، فى سرعة مخيفة ، جعلت السيارة تميل فى عنف ، وإطاراتها تطلق صريرًا ، يكفى لإيقاظ (باريس) كلها ، وهو يهتف :

ـ فليكن أيها العبقرى .. ولكن أخبرنى .. أليس من الأفضل أن تقوم بعمل ما ، بدلًا من تركيز كل جهدك على تحليل شخصيتى الهمجية .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ أنت على حق .

ثم اعتدل فى مجلسه ، ممسكًا المدفع الآلى ، فى نفس اللحظة التى انحرفت فيها الدراجتان الآليتان خلف السيارة ..

وأطلق (نور) رصاصات مدفعه ..

وانفجر الإطار الأمامى للدرّاجة الآلية الأولى ، فقفزت قفزة مخيفة فى الهواء ، ودارت حول نفسها ، وقائدها يطير نحو الجدار ، قبل أن يسقط الاثنان ، ويرتطمان بالأرض فى عنف ..

وفى براعة ملحوظة ، تفادى راكب الدرّاجة الثانى رصاصات (نور) ، ومال إلى الجانب الآخر من

السيارة ، ثم صوَّب مسدسه إلى إطاراتها الخلفية ، وكأنه يطبق ما تعلمه ، مما فعله (نور) بزميله ..
وأطلق النار ..
وانفجر الإطار الخلفى الأيسر للسيارة ..
ومع الانفجار انحرفت السيارة بغتة فى عنف ، حتى أن الجندى الألمانى نفسه عجز عن تفادى الارتطام بها ، فاصطدم بمؤخرتها فى قوة ، ألقت به عن دراجته الآلية ، فى حين قبض (أكرم) على عجلة القيادة بكل قوته ، محاولاً السيطرة على السيارة ، التى واصلت انحرافها العنيف ، حتى ارتطمت بالإفريز ، فمالت بحدة ، ووثبت وثبة مخيفة ، قبل أن ترتطم بجدار أحد المبانى ، وتسقط مرة أخرى على إطاراتها ..
وفى توتر ، هتف (نور) :
ـ (طارق) .. (أكرم) .. أأنتما بخير ؟!
أجابه (طارق) ، وهو يثب فى خفة خارج السيارة :
ـ أنا بخير أيها القائد .
وفى حنق ، أزاح (أكرم) جزءًا من الباب ، انثنى بشدة ، وهو يقول :

ـ وأنا أيضًا ، ولكن فرصتنا فى النجاة ستنخفض كثيرًا ، بدون السيارة .
قال (نور) فى حزم :
ـ هذا صحيح ، ولن تمضى دقيقة واحدة ، حتى يكتظ المكان بالجنود الألمان ، وعلينا أن نبتعد عن هنا ، بأقصى قدر ممكن .
انطلق الثلاثة يعدون ، فى شوارع (باريس) الجانبية ، وأصوات سيارات الجيش الألمانى تدوى فى كل مكان ، والجنود النازيون يندفعون إلى كل الطرقات ..
وفى انفعال لاهث ، قال (طارق) :
ـ إنهم يحاصرون كل المداخل والمخارج .. لا يوجد مكان يمكننا أن نختبئ فيه الآن .
سأله (أكرم) فى عصبية :
ـ ماذا تعنى ؟! هل فشلنا ، بعد كل هذا ؟!
هزَّ (طارق) رأسه فى أسى ، قبل أن يلتفت إلى (نور) ، متسائلاً :
ـ ما رأيك أيها القائد ؟!
أدار (نور) عينيه فيما حوله ، ثم قال فى حزم :

- رأيى أننا نمتلك شيئًا ، يفتقر إليه هؤلاء القوم .
سأله (أكرم) فى اهتمام :
- وما هو ؟!
التقى حاجبا (نور) فى صرامة ، وهو يجيب :
أشار إلى رأسه ، مجيبًا :
- العقل .
زوَى (طارق) ما بين حاجبيه ، محاولاً فهم ما يرمى إليه (نور) ، فى حين قال (أكرم) ، فى شىء من العصبية والتوتر :
- العقل ؟! وما الذى يمكن أن يفعله العقل ، فى موقف كهذا يا (نور) ؟! هل سيمنعهم من رؤيتنا ؟!
أجابه (نور) فى سرعة :
- بالتأكيد .
بدت عليه الدهشة ، فى حين هتف (طارق) :
- آه .. فهمت .
أدار (أكرم) بصره بينهما ، قبل أن يقول فى حنق :
- كالمعتاد ، يبدو لى أننى الوحيد العاجز عن الفهم هنا .

ربَت (نور) على كتفه ، قائلاً :
- اطمئن يا صديقى ، بعد دقيقة واحدة ، لن تكون الوحيد ، الذى يعجز عن رؤية الحقيقة .
وتضاعفت دهشة (أكرم) ..
وبدا له أن عبارة (نور) غامضة .. غامضة للغاية ..

* * *

« معذرة يا سيِّدى الجنرال ، ولكننى عاجز عن الفهم تمامًا هذه المرة .. »
نطق (فون دارك) ، رئيس الشرطة العسكرية الألمانية هذه العبارة ، فى عصبية واضحة ، وهو يتحدَّث إلى (هولدشتاين) ، الذى عقد كفيه خلف ظهره ، ووقف أمام النافذة ، متطلِّعًا إلى الطريق ، الممتدَّ أمام بيت الثعالب ، والذى قال فى صرامة :
- أرح نفسك ، واكتف بتنفيذ الأوامر دون فهمها .
قال (فون دارك) فى حدة :
- أهذا قولك الأخير يا سيِّدى الجنرال ؟!
استدار إليه (هولدشتاين) فى بطء صارم ، وهو يقول :

ـ ما الذى تريد قوله بالضبط يا كولونيل ؟!

أجابه (فون دارك) فى غضب مكتوم :

ـ أريد أن أقول : إن تصرفاتك ، فى الآونة الأخيرة ، تبدو غامضة للغاية ، فى زمن الحرب .

رمقه (هولدشتاين) بنظرة صارمة مخيفة ، قائلاً :

ـ كولونيل هل تدرك معنى ما تقول ؟!

ارتفع صوت (فون دارك) أكثر ، وهو يقول :

ـ نعم .. أفهمه جيدًا يا جنرال ، وخاصة بعد ما أرسلتنا إلى الأنفاق ، وجعلتنا نبدو كالبلهاء ، ونحن نطارد الزواحف والفئران ، ونطلق عليها النار ، دون أن نعثر على رجل واحد ، من رجال المقاومة الفرنسية ، الذين زعمت حصولك على معلومات مؤكدة ، تفيد وجودهم هناك ، بل ومنحتنا خريطة لوكرهم أيضًا .

قال (هولدشتاين) فى صرامة :

ـ لقد حذّرهم هؤلاء الجواسيس .

رفع (فون دارك) سبّابته ، وهو يقول فى عصبية :

ـ خطأ يا جنرال .. خطأ .. ففى نفس اللحظة ، التى كنا نعدو فيها داخل تلك الأنفاق كالحمقى ، كنت

أنت تقود حملة مسرحية ، لإلقاء القبض على الجواسيس .

التقى حاجبا (هولدشتاين) على نحو مخيف ، وهو يقول :

ـ حملة مسرحية ؟!

أجابه (فون دارك) فى حدة :

ـ نعم يا جنرال .. حملة مسرحية مدروسة ، بحيث تبدو أمام الجميع أنك الرجل الذى أوقع بالجواسيس ، فى نفس الوقت الذى وزّعت فيه أوامرك الصارمة على الجميع ، لمنع قتلهم ، مهما كان السبب .

صمت (هولدشتاين) لحظة ، وهو يرمق (فون دارك) بنظرة نارية ، قبل أن يقول :

ـ على الرغم من أن هذا ليس من شأنك يا (فون دارك) ، إلا أننى سأخبرك .

ثم عاد يلتفت إلى النافذة ، ويعقد كفيه خلف ظهره ، مستطردًا :

ـ هؤلاء الجواسيس الثلاثة يخفون سرًا خطيرًا ، قد يتوقّف عليه مصير الحرب كلها ، ولا بد لنا من انتزاع هذا السر منهم ، قبل أن نقتلهم .

قال (فون دارك) فى صرامة :

ـ ولكنهم سقطوا فى قبضتنا بالفعل ، وكان بإمكاننا انتزاع ذلك السر منهم ، بألف وسيلة ووسيلة ، ولدينا خبراء لا يشق لهم غبار ، فى هذا المضمار ، وعلى الرغم من هذا ؟ فقد أمرت بتيسير سبل الفرار لهم ، ومنعت الرجال من إطلاق النار عليهم مباشرة ، وكأنك تسعى لتحريرهم ، وإبعادهم عن قبضتنا .

صمت (هولدشتاين) لحظة ، ثم قال فى غضب :

ـ من الواضح أنك لا تعرف هؤلاء الرجال يا (فون دارك) .. إنهم فى قوة الفولاذ وصلابة الماس ، والموت نفسه لن يخيفهم ، أو يجبرهم على الإدلاء بما لديهم ، والوسيلة الوحيدة لكشف سرهم ، هى إيهامهم بأنهم مطلقو السراح ، وتعقُّبهم سرًا ، حتى يقودونا إليه .

قال رئيس الشرطة العسكرية فى حدة :

ـ وكيف يمكننا أن نتعقَّبهم يا جنرال ؟!

مطَّ (هولدشتاين) شفتيه ، وقال :

ـ لدينا وسائلنا .

صمت (فون دارك) بضع لحظات ، وهو يتطلع

فى غضب إلى الجنرال ، الذى يوليه ظهره ، قبل أن يقول فى لهجة جافة :

ـ إذن فهؤلاء الجواسيس يخفون سرًا ، يتوقَّف عليه مصير الحرب كلها ؟

غمغم (هولدشتاين) فى ضجر :

ـ هذا صحيح .

قال (فون دارك) فى صرامة :

ـ من المؤكَّد إذن أن الفوهلر على علم بالأمر .. أو الهر (هملر) على الأقل .

انعقد حاجبا (هولدشتاين) فى شدة ، واستدار إليه فى بطء ، قائلاً :

ـ ماذا تعنى يا (فون دارك) ؟!

أجابه الرجل فى حدة صارمة :

ـ أعنى أنه لن يضيرك ، والحال هكذا ، أن أخبر الجنرال (هملر) ، رئيس الجستابو ، أو الفوهلر نفسه ، بما تفعله هنا .

لم ينبس (هولدشتاين) بحرف واحد ، وإن بدا عليه مزيج من الغضب والعصبية ، جعلا (فون دارك) يقول ، وهو يخرج ورقة من جيبه ، ويمسكها فى قوة :

- كنت أعلم أن هذا سيقلقك .. كنت أعلم هذا .

بدا صوت (هولدشتاين) صارمًا مخيفًا ، وهو يقول :

- يبدو أنك تجهل تمامًا ما تمضى إليه يا (فون دارك) .

أجابه الرجل فى تحد ، وهو يلوّح بقبضته ، الممسكة بالورقة :

- بل أعرفه جيدًا يا جنرال .. أعرف أنك تسعى لأمر ما ، لا يخص صالح الوطن قط .. أمر شخصى بحت ، أو ..

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستطرد :

- أو خيانة .

ظلّ وجه (هولدشتاين) جامدًا صارمًا ، وهو يقول :

- لقد تماديت كثيرًا يا (فون دارك) .

هتف الرجل :

- بل قل : إننى اقتربت من الحقيقة كثيرًا يا جنرال .

صمت (هولدشتاين) لحظات أخرى ، خيّل لـ (فون دارك) خلالها أن عينيه تتحوّلان إلى جمرتين من نار ، قبل أن يقول بصوت رهيب مخيف :

- فليكن يا (فون دارك) .. إنك لم تترك لى الخيار .

تراجع (فون دارك) بحركة غريزية ، وهو يقول فى توتر :

- ماذا تقصد يا جنرال ؟!

استلّ (هولدشتاين) مسدسه بسرعة خرافية ، وهو يقول :

- هذا يا (فون دارك) .

اتسعت عينا (فون دارك) ، وتراجع فى سرعة ، ولكن رصاصة مسدس (هولدشتاين) كانت أكثر سرعة ، وهى تخترق جبهته ، وتغوص فى مخه ، فاتسعت عيناه عن آخرهما ، ولوّح بقبضته ، قبل أن يهوى جثة هامدة ..

وفى هدوء عجيب ، أعاد (هولدشتاين) مسدسه إلى غمده ، وهو يتمتم :

- إن وغدًا مثلك لن يفسد خطتى ، للسيطرة على التاريخ .

قالها ، وانحنى ينتزع تلك الورقة ، من بين أصابع (فون دارك) ، ثم اعتدل يفضّها فى سرعة ، و ..

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يهتف :



اتسعت عينا (فون دارك) ، وتراجع فى سرعة ، ولكن رصاصة مسدس (هولدشتاين) كانت أكثر سرعة ، وهى تخترق جبهته ..

ـ اللعنة !!

فقد كانت تلك الورقة تحمل أمرًا مباشرًا من (فون دارك) ، لكل رجال الشرطة العسكرية الألمانية ، بإطلاق النار على (نور) و (طارق) و (أكرم) ، فور رؤيتهم ..

وبلا رحمة .





٥ - الخدعة ..

أدار الضابط الألمانى عينيه فيما حوله ، فى صرامة عصبية ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، قبل أن يقول لرجاله ، بلهجة حازمة آمرة :

- انتشروا فى المنطقة كلها ، وأطلقوا النار عليهم فور رؤيتهم ، و ..

قبل أن يتمَ عبارته ، دوت فرقعة قوية فى المكان ..

ثم انقطع التيار الكهربى عن المنطقة كلها ، دفعة واحدة ..

ومع انقطاعه ، سرى فى عروق الضابط وجنوده موجةَ عنيفة من التوتر ، وهتف الضابط فى عصبية ، وهو ينتزع مسدسه من غمده :

- أضيئوا مصابيح السيارات .. هيا .. بسرعة .

أسرع الجنود إلى سياراتهم ، وامتدَت أياديهم إلى أزرار إضاءة المصابيح ، و ...

وهنا اندفع (نور) و (طارق) و (أكرم) من مكمنهم ..

وفى نفس اللحظة ، التى أضيئت فيها مصابيح السيارات ، انقضَ الثلاثة كالنسور ..

وتحطَم فك الضابط الألمانى بلكمة كالقنبلة ، وفقد اثنان من الجنود مدفعيهما بركلتين قويتين ، فى حين شعر سائق إحدى السيارات بذراع كالفولاذ ، تنتزعه من مقعد القيادة ، ثم تضربه بالأرض فى عنف ، مع صوت ساخر ، يقول :

- هيا يا رجل .. انتهت رحلتك هنا .

صرخ أحد الجنود فى عصبية :

- إنهم هنا .. أطلقوا النار .

انطلقت صرخته ، فى نفس اللحظة التى وثب فيها (أكرم) إلى مقعد القيادة ، وقفز خلفه (نور) و(طارق) ، وكلاهما يطلق نيران مدفعه الآلى ، فوق رءوس الجنود ..

وعندما انحنى النازيون ، لتفادى الرصاصات المنهمرة كالمطر ، انطلق (أكرم) بالسيارة كالصاروخ ..

ومن المقعد الخلفى ، أمطر (نور) و (طارق) مصابيح السيارات الأخرى برصاصاتهم ..

وتحطَّمت المصابيح ..

وغرقت المنطقة مرة أخرى في ظلام دامس ، إلا من مصباحى سيارة (أكرم) ، ونيران المدافع الآلية ، التى انطلقت خلفها ..

وبينما ينطلق بأقصى سرعته ، هتف (أكرم) :

ـ إلى أين ؟!

أجابه (طارق) فى توتر :

ـ ما دام (هولدشتاين) خلفنا ، فلن نجد مكانًا واحدًا يمكن أن نختبئ فيه ، فى (باريس) كلها أو حتى ..

هتف (نور) فجأة :

ـ أوقف السيَّارة .

ضغط (أكرم) الفرامل بحركة تلقائية ، وهو يقول فى دهشة :

ـ أوقفها ؟!

توقَّفت السيَّارة ، وإطاراتها تطلق صريرًا عاليًا ، وهتف (طارق) :

ـ ماذا هناك أيها القائد ؟!

وثب (نور) خارج السيَّارة ، وهو يقول :

ـ إنهم يبحثون عن ثلاثة من الهاربين ، استولوا على واحدة من السيارات العسكرية الألمانية ، وسيقيمون الكمائن فى كل مكان ، وهذا يعنى أن أوَّل ما نفعله ، هو أن نغادر السيَّارة .

لم يكد يكمل عبارته ، حتى قفز (طارق) و(أكرم) من السيارة بدوريهما ، والأخير يهتف :

ـ رباه ! أنت على حق كالمعتاد يا (نور) .

أما (طارق) ، فتطلَّع إلى (نور) فى إعجاب ، مغمغمًا :

ـ القائد عبقرى يا (أكرم) .

تجاهل (نور) العبارتين ، وهو يقول :

ـ والآن دعونا نبتعد عن هنا بأقصى ما يمكننا .

أشار (أكرم) بيديه ، قائلاً :

ـ إلى أين تقترح .. الشرق أم الغرب ؟!

هزَّ (نور) رأسه ، قائلاً :

ـ لا هذا ولا ذاك يا صديقى .. لن نجد شبرًا واحدًا للاختباء ، فى (باريس) كلها ، كما قال (طارق) .. إنهم سيطلقون جنودهم فى كل مكان بلا استثناء .. فى الشوارع ، والطرقات ، وحتى أنفاق المترو ،

وسيفتشون كل البيوت ، والمنازل ، والمحال التجارية .. باختصار ، ستتحولً (باريس) كلها إلى منطقة حرب ، لا يمكن أن تفلت منها بعوضة .

قال (طارق) فى حيرة :

- هل تعنى أنه لا يوجد أى مكان ، يمكن أن نذهب إليه ؟!

أشار (نور) بسبَّابته ، قائلاً :

- بل يوجد مكان واحد ، لن يخطر ببال أحد قط .

سأله الاثنان فى آن واحد :

- وما هو ؟!

صمت لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

- البيت .. بيت الثعالب نفسه .

حدَّق الاثنان فى وجهه بذهول ، قبل أن يهتف (طارق) مبهورًا :

- بيت الثعالب ؟! إننا بهذا كمن يلقى نفسه بين أنياب تمساح ، لينجو من جوعه .

هزَّ (نور) رأسه فى قوة ، وهو يقول فى حماس :

- على العكس .. إنهم يبحثون جميعًا عن ثلاثة من الهاربين ، يسعون بأقصى طاقتهم ، للابتعاد عن بيت

الثعالب ، وليس عن ثلاثة من المجانين ، الذين يسعون بأقدامهم إليه .

غمغم (أكرم) :

- فكرة مجنونة يا (نور) .

ثم استدرك فى سرعة ، وهو يطلق ضحكة عابثة :

- ولهذا ، فهى تروق لى جدًّا .

ارتسمت ابتسامة رصينة ، على شفتى (طارق) ، وهو يقول :

- ولى أيضًا .

همَّ (أكرم) بقول شىء ما ، وابتسامته تتراقص على شفتيه ، إلا أن تلك الابتسامة لم تلبث أن تلاشت بغتة ، وحلَّت محلها نظرة شديدة التوتر ، وهو يقول فى عصبية :

- هذا لو لم نعد إلى بيت الثعالب ، على الرغم منا .

لم يكد يتمَّ عبارته ، وقبل حتى أن يسأله أحدهم عما يعنيه بها ، أضيئت مصابيح قوية فى عيون الثلاثة ، وارتفع صوت صارم ، يقول بالألمانية :

- أنتم محاصرون .. حركة طائشة واحدة ، وتغمركم الرصاصات من كل صوب .

ومن خلف الصوت والأضواء ، ميَّز أبطالنا الثلاثة بضعة أزياء عسكرية نازية ، ومدافع آلية ..
عشرات المدافع الآلية ..

★ ★ ★

التقى حاجبا (نشوى) فى شدة ، وهى تتطلَّع إلى شاشة الكمبيوتر ، وتراجع بيانات المقاتلة الزمنية للمرة الخامسة ، قبل أن تهزَّ رأسها فى قوة ، قائلة :
ـ عجبًا !! لست أدرى كيف أكَّدت الدكتورة (إلهام) أن البيانات لرجل ضئيل الحجم .. الكمبيوتر مازال يصرّ على أن البيانات تناسب امرأة !!
أجابها الدكتور (ناظم) فى حزم :
ـ الكمبيوتر أداة تفكير جامدة ، تتعامل مع الحقائق المجرَّدة وحدها ، أما هى فعالمة بشرية ، وخبيرة فى مضمارها ، ومن الطبيعى أن ترى ما لا يراه الكمبيوتر .
ثم ضرب طرف المنضدة بأصابعه ، مستطردًا :
ـ ما زال البشر هم المحرك الرئيسى للحياة .
غمغم (رمزى) :
ـ حمدًا لله (سبحانه وتعالى) .

ثم استطرد فى اهتمام :
ـ إننى أعترف فى الواقع ، أن فكرة السبات الصناعى هذه ، لم تخطر لنا قط ..
لوَّح الدكتور (ناظم) بكفه ، قائلاً :
ـ ألم أقل لك إنها خبيرة ؟!
ثم التفت إلى (نشوى) ، يسألها :
ـ المهم ، ماذا سنفعل ، فى ضوء هذه المعلومات الجديدة ؟!
أشارت إلى الكمبيوتر ، مجيبة :
ـ سنبحث عن ذلك الرجل الضئيل .
غمغم (رمزى) :
ـ أو الرجال الثلاثة ، الذين غرقوا فى سبات عميق ، خلال رحلة الزمن .
سأله الدكتور (ناظم) فى قلق :
ـ هل تميل إلى هذا الاحتمال ؟!
قبل أن يجيب (رمزى) ، قالت (سلوى) فى حزم :
ـ أنا أميل إليه .
التفت إليها الجميع فى دهشة متوترة ، وهتف الدكتور (ناظم) :

- حقًا ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وهى تتراجع فى مقعدها ، قائلة :

- تصميم المركبة يحوى أربعة مقاعد ، وهذا يعنى أنه من المحتمل جدًا أن تكون قد حملت إلينا أربعة أفراد بالفعل .

مطّت (نشوى) شفتيها ، مغمغمة :

- يبدو أن الدكتورة (إلهام) هذه عبقرية بالفعل .

أجابها الدكتور (ناظم) فى حماس :

- إنها كذلك .

رمقته بنظرة جانبية ، فاستدرك فى صرامة .

- إنها لم تر المركبة ، أو تشاهد تصميماتها ، وعلى الرغم من هذا ، فقد استنتجت وجود أربعة رجال ، وهذا يعنى أنه ما زال علينا أن نبحث عن ثلاثة جواسيس فى زمننا .

قال (رمزى) فى حزم :

- ليس بالضرورة .

التفت إليه الدكتور (ناظم) فى حدة ، قائلاً :

- الدكتورة (إلهام) ..

قاطعه (رمزى) :

- الدكتورة (إلهام) استنتجت أن المقاتلة كانت تحمل أربعة رجال ، ولكن هذا لا يعنى أن جميعهم قد نجح فى بلوغ عصرنا .

لوّح الدكتور (ناظم) بسبّابته فى عصبية ، قائلاً :

- اشرح ما تعنيه يا (رمزى) .

أجابه (رمزى) فى سرعة ، وكأنما لم يكن ينتظر العبارة :

- أعنى أنه لو أن الجزء الخاص بالضياع عبر الزمن ، فى قصة (طارق) ، صحيحًا ، فهذا يعنى أن طاقم المقاتلة قد خاض أهوالاً لا حصر لها ، منذ بدأ رحلته ، وحتى بلغ عصرنا ، ومن المحتمل جدًا أن بعضهم قد لقى مصرعه ، فى زمن أو آخر .

ارتجف صوت (نشوى) ، وهى تقول :

- نعم .. من المحتمل جدًا .. السفر عبر الزمن يحمل حتمًا مخاطر جمّة .

أدرك (رمزى) على الفور أنها تقصد ما أصاب والدها ، فتابع ، محاولاً تهدئتها :

- وهذه مجرّد نظرية بالطبع .

ران الصمت لحظات على المكان ، قبل أن يقول الدكتور (ناظم) فى حزم :

- الدكتورة (إلهام) وحدها ، يمكنها حسم هذا الأمر .

أجابته (نشوى) .

- فليكن .. دعها تراجع النتائج مرة أخرى .. أو مرات ومرات .. حتى تصل إلى نتيجة مؤكدة ، لا تقبل الشك .. إننا سنعتمد تمامًا على عملها .

ثم التفتت إلى أمها ، مستطردة :

- أليس كذلك يا أمى ؟!

بدت لها (سلوى) مشدودة بكيانها كله ، إلى شاشة الكمبيوتر ، التى تحمل خريطة ثقوب الزمن ، فهتفت بها مرة أخرى :

- أمى .

التفتت إليها (سلوى) بحركة حادة ، وجسدها ينتفض انتفاضة قوية ، وكأنما انتزعها هتاف ابنتها من سبات عميق ، وحدقت فى وجهها لحظة ، قبل أن تقول .

- معذرة يا (نشوى) ، ولكن ما توصل إليه الكمبيوتر أدهشنى كثيرًا .

هتف بها الدكتور (ناظم) فى لهفة :

- وما الذى توصل إليه الكمبيوتر ؟!

أشارت إلى الشاشة فى انفعال ، قائلة :

- لقد تمكن من حل شفرة تلك الرموز الحمراء ، المجاورة للثقوب .. إنها تحدد بالفعل كل زمن ، يمكن أن يقود إليه الثقب .

قال (رمزى) فى حيرة :

- ولكن هذا ما كنا نتوقعه يا (سلوى) .

أجابته بسرعة :

- هذا صحيح ، ولكن بعض هذه الثقوب يحمل ، إلى جوار التاريخ ، حرفى (ق . م .) .. أى أنها تقود إلى أزمان تعود إلى ما قبل الميلاد .

سألها الدكتور (ناظم) فى حذر :

- وما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابته فى حزم :

- يعنى أن مفهوم الزمن عند (طارق) ، هو نفس مفهومه لدينا ، أو بمعنى أدق ، أنه قد جاء من زمن ، ما زال يعتمد نفس نظم التوقيت ، التى اعتمدتها كل العصور الحديثة .

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) وهو يقول :

- يا إلهى ! هل تعنين أن .. ؟!

قاطعته بلهجة حاسمة :

- نعم يا دكتور (ناظم) .. أعنى أن (طارق) لم يأت من الماضى ، كما حاول أن يوهمنا جميعًا .. بل أتى من المستقبل .

وشدَّت قامتها ، مضيفة فى صرامة :

- مستقبلنا .

ولم ينبس أحدهم بحرف واحد ، تعقيبًا على قولها ، على الرغم من الانفعال الجارف ، الذى ارتسم على وجوههم جميعًا ..

فالواقع أن المفاجأة كانت عنيفة ..

عنيفة للغاية ..

★ ★ ★

لثانية أو ثانيتين ، تجمَّد الموقف تمامًا ، فى ذلك الشارع الصغير ، فى قلب (باريس) ، وفكَّر (أكرم) لحظة فى رفع مدفعه ، وإطلاق النار على أولئك ، الذين يصوِّبون إلى ثلاثتهم مدافعهم ، إلا أن لمحة من العقل ، جعلته يدرك أن هذا لن يؤدِّى إلا لمذبحة ،

يعلم الله (سبحانه وتعالى) وحده ، كيف يمكن أن تنتهى ، فهتف فى حنق :

- أراهن على أنكم قد أوقعتم بنا بمحض الصدفة فحسب .

نطقها بالألمانية ، إلا أن الجواب أتاه بالفرنسية ، وبصوت أنثوى مألوف ، يقول :

- هذا صحيح .

خفق قلب (طارق) فى قوة ، عندما سمع الصوت ، ورفع عينيه فى لهفة إلى مصدره ، فى حين عقد (نور) عينيه فى حذر ، وتطلَّع إلى دائرة الضوء ، التى برزت منها فرنسية حسناء ، تكمل بابتسامة ساحرة .

- من حسن الحظ ..

هتف (طارق) بلهفة شديدة ، تمتزج بفرحة واضحة :

- (برجيت) .

لم يكن هتافه قد انتهى بعد ، عندما ألقت نفسها بين ذراعيه ، ودموعها تنساب على وجنتيها فى صمت ، فى حين غمغم (أكرم) فى ذهول :

- ماذا يحدث بالضبط ؟!
أتاه صوت (آلان) ، يقول فى عصبية :
- لقد اصطدمنا بكم ، فى أثناء استعدادنا لشنّ غارة على الألمان .
ابتسم (نور) ، قائلاً :
- لهذا ترتدون أزياء عسكرية ألمانية إذن .
هتفت (برجيت) فى حماس ، وهى تنساب من بين ذراعى (طارق) :
- بالضبط .. كانت غارة انتقامية ، بعد محاولتهم اقتحام وكرنا ، فى قلب أنفاق المترو ، وبعد أن أوقعوا بكم .
ثم عادت تلتفت إلى (طارق) ، قائلة :
- حمدًا للّه على أنكم بخير ، على أية حال .
أشاح (آلان) بوجهه فى غضب ، وقال :
- معظم الرجال أصرّوا على أنها خدعة ، ولكن (برجيت) أقنعتهم بالعكس .
هتف أحد الرجال فى حدة :
- ولكن النازيين كانوا يحملون خريطة كاملة للأنفاق .
التفت إليه (نور) بحركة سريعة ، هاتفًا :

- خريطة للأنفاق ؟!
وتبادل نظرة متوترة مع (طارق) ، قبل أن يقول هذا الأخير :
- ولكن حتى هذا الزمن ، لم تكن هناك خريطة كاملة لأنفاق المترو .
تطلَّع إليها (آلان) والرجال فى حيرة متوترة ، تحت أضواء المصابيح الكاشفة ، وغمغم أحدهم فى عصبية :
- ما الذى يعنيه هذا ؟!
أجابه (نور) فى حزم :
- يعنى أن (هولدشتاين) ما زال يمتلك مصدرًا ما ، للحصول على كل المعلومات الدقيقة ، الخاصة بهذا العصر .
لم يستوعب الرجال تمامًا ما يعنيه ، فتبادلوا نظرات شديدة التوتر ، فى حين قال (آلان) :
- من الصعب علينا أن نتمشّى مع ما لديكم من علوم يا (نور) وهذا يجعل تعاوننا عسيرًا .
قال (نور) فى سرعة :
- على العكس يا (آلان) .. إننا نتكامل على نحو

رائع ، فنحن لدينا العلم والمعرفة المسبقة بالتاريخ ، وأنتم لديكم العدد والقوة ، وهذا يجعل بإمكاننا القيام بعمليات قوية للغاية .

سألته (برجيت) فى لهفة :

- مثل ماذا ؟!

صمت (نور) بضع لحظات ؛ ليضمن التفات الجميع إليه ، وإنصاتهم لكلماته ، قبل أن يجيب فى بطء :

- لقد خرجتم لشن غارة عشوائية على الألمان ، فلماذا لا نجعلها غارة محدودة ، مدروسة ؟!

بدا الاهتمام القلق على وجوه الجميع ، حتى (طارق) و (أكرم) ، وسأله الأوّل فى حذر :

- أيها القائد .. هل تقصد ما أفكّر فيه ؟!

أجابه (نور) ، فى حزم وحماس :

- بالتأكيد يا (طارق) .

ثم التفت إلى الجميع ، مضيفًا :

- سنهاجم بيت الثعالب نفسه .

انطلقت شهقة مكتومة من (برجيت) ، فى حين اتسعت عيون رجال المقاومة فى دهشة مذعورة ، و (أكرم) يغمغم فى سخرية :

- أراهن على أن قلوبهم تنبض فى أقدامهم الآن .

اخترقت غمغمته صمتًا عميقًا ، ران على المنطقة كلها ، قبل أن يهتف أحد الرجال :

- إنها خدعة جديدة .. سيلقوننا فى قبضة الألمان .. سنجد فخًا فى انتظارنا هناك .

هتفت (برجيت) :

- غبى .. لقد التقينا بهم مصادفة ، فكيف يعدُّون فخًا لنا هناك .

ارتبك الرجل مع منطقها السليم ، فى حين قال (آلان) فى صرامة :

- إنها مخاطرة كبرى ، فى كل الأحوال .

أجابه (نور) :

- بل هو الوقت المناسب تمامًا للهجوم ، والجميع يبحثون عنا خارج المبنى .

قال (آلان) فى حزم :

- الألمان ليسوا أغبياء أو ساذجين ، وإلا ما اجتاحوا (أوروبا) كلها .. صحيح أنهم أطلقوا وحوشهم خلفكم ، إلا أن هذا لا يعنى أنهم قد تركوا مقر قيادتهم بلا حراسة كافية .

أجابه (نور) :

- بالتأكيد ، ولكنهم الآن ينتظرون عودة هؤلاء الرجال ، ولو أنكم ذهبتم إلى هناك بأزيائكم العسكرية الألمانية هذه ، فسيمكنكم خداعهم بضع لحظات ، ستكون كافية لمفاجأتهم ، واقتحام المبنى كله ، فى غياب معظم رجال حراسته .

ران الصمت على المكان مرة أخرى ، قبل أن يقطعه أحد الرجال ، قائلاً فى حدة :

- هذا لن يكفى .. الألمان يقاتلون كالأسود ، عندما يواجهون الخطر ، ولن يكون اقتحام بيت ثعالبهم بالأمر السهل .

قال (طارق) فى سرعة :

- ليس إذا هاجمنا من محورين .

سألوه فى اهتمام حذر :

- وكيف هذا ؟!

أجابهم فى حماس :

- هناك مدخل سرى ، أمكننا الفرار عبره ، ويمكن لمجموعة منا أن تعبره إلى داخل المبنى ، فى نفس الوقت الذى تهاجم فيه المجموعة الأخرى المدخل

الرئيسى ، ومن المؤكد أن الألمان سيرتبكون فى شدة ، عندما يضطرون للقتال فى الداخل والخارج ، فى آن واحد .

أكمل (أكرم) ، فى حماس مماثل :

- ثم إنها ستكون ضربة قاصمة للنازيين ، وسيعلم بأمرها كل مخلوق ، فى (أوربا) كلها .

وجدت عبارته صدى فى أعماقهم ، وهوى فى نفوسهم ، خاصة مع شعورهم وتخيلهم لرد الفعل ، الذى سينجم عن هذه الواقعة ، والذى سيعلن أن المقاومة الفرنسية مازالت فى أوج قوتها ، على الرغم من كل الضربات التى تلقتها مؤخرًا ..

وفى حزم ، عبَّر (آلان) عن رأى الرجال ، قائلاً :

- لا بأس يا (نور) .

هتف (أكرم) فى حماس :

- رائع .

أما (نور) فلم يضع لحظة واحدة فى الانفعال ، وهو يقول :

- عظيم .. فى هذه الحالة سننقسم إلى فريقين .. فريق يتكوَّن من ثلث الرجال ، ويقوده (طارق) ،

نظرًا لمعرفته بأسرار ذلك المدخل الخفى ، وفريق آخر من باقى الرجال ، بصحبتنا ، (أكرم) وأنا ، لاقتحام المدخل الرئيسى .. سنضبط ساعاتنا ، لتحديد موعد ثابت للهجوم من الجانبين .. إنها الرابعة صباحًا ، وسنبلغ بيت الثعالب فى الرابعة والربع تقريبًا ، وسيتم الاقتحام فور وصولنا إلى هناك ، وما إن يبدأ إطلاق النار ، حتى تقتحم المجموعة الأولى المدخل السرى ، وتنقضَ على الألمان من الداخل ..

غمغمت (برجيت) :

- فكرة عبقرية .

تنهَّد (طارق) ، قائلاً بابتسامة إعجاب :

- إنك تتعاملين مع القائد (نور) .. أبرع رجل أمن فى عصره .

ثم اتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

- وبالنسبة لشخص مثلى ، فهو أبرع رجل أمن ، فى كل العصور .

تسللت أصابعها ؛ لتحتضن أصابعه ، وهى تهمس :

- وبالنسبة لى ، هناك من هو أكثر براعة منه .

خفق قلبه ، وهو يضغط أصابعها فى رفق ، قبل أن يقول (نور) فى حزم :

- هيا بنا .

انقسم الرجال إلى مجموعتين ، كما اقترح (نور) ، وانطلق (طارق) و (برجيت) مع المجموعة الأولى ، للدوران حول بيت الثعالب ، فى حين قاد (نور) و (أكرم) و (آلان) المجموعة الثانية ، و(نور) يقول :

- أنا و(أكرم) لا نرتدى الأزياء العسكرية الألمانية ، لذا فسنتظاهر بأننا قد وقعنا فى أسركم ، ورؤيتنا ستجذب أنظار الجنود ، وستشغلهم عن التحقق منكم ، وهكذا يكون للمفاجأة وقعها .

غمغم (آلان) :

- بالتأكيد .

لم ينبس أحدهم بعدها ببنت شفة ، والجميع ينطلقون نحو بيت الثعالب ، مرورًا ببعض وحدات التفتيش الألمانية ، التى لم يحاول أفرادها استيقاف الرجال ، باعتبارهم فريقًا من الجنود النازيين ، نجح فى أسر اثنين من الهاربين الثلاثة ، حتى اقترب الجميع من بيت الثعالب ..

ولكن فجأة ، اعترض أحد الضباط الألمان ورجالـه مسيرة الفريق ، وانعقد حاجباه فى صرامـة ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ويتطلّع إلى (نور) و(أكرم) بنظرة صارمة ، قائلاً :

ـ هل أوقعتم بهما ؟!

انفرجت شفتا (آلان) ، ليقول شيئًا مـا ، إلا أن الضابط استطرد فى صرامة شديدة :

ـ أيها الغبى .. ألم تستمع للأوامر الجديدة ؟!

تبادل (نور) و (أكرم) نظرة متوترة ، فى حين غمغم (آلان) بالألمانية فى حذر :

ـ الأوامر الجديدة ؟!

لوَّح الضابط بأصابعه فى أناقة صارمة ، وهو يقول :

ـ نعم .. الأوامر الجديدة أيها الضابط .. لقد أصـدر الجنرال (هولدشتاين) أمرًا بإلغاء كل الأوامر السابقة للكولونيل (فون دارك) ، الذى قتله الهاربون ..

ثم رمق (نور) و(أكرم) بنظرة صارمة أخرى ، قبل أن يشير لـ (آلان) ، قائلاً :

ـ تعال .

قفز (آلان) من السيارة ، واتجه مع الضابط إلى

ركن بعيد ، حيث راح هذا الأخير يتحدَّث إليه فـى صرامة لبعض الوقت ، فهمس (أكرم) :

ـ هل تعتقد أنه يأمره بقتلنا ؟!

هزَّ (نور) رأسه نفيًا فى بطء ، وهو يجيب فى حذر :

ـ كلاَّ .. وجه (آلان) يحتقن بشدة ، وهذا يعنـى أن ما يقوله الضابط مفاجئ أو مخيف .

ازدرد (أكرم) لعابه فى صعوبة ، مغمغمًا :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

لم يكد ينتهى من عبارته ، حتى لمح (آلان) يؤدى التحيةَ العسكرية للضابط الألمانى ، ثم يتجه نحوهم ، ووجهه محتقن بشدة ، فغمغم (نور) :

ـ سنعرف كل شىء بعد لحظات .

إلا أن (آلان) وثب إلى السيارة العسكرية الألمانيـة ، وقال لقائدها فى عصبية :

ـ انطلق .

كـان محتقن الوجـه فى شدة ، حتـى إن (نـور) سأله فى قلق :

ـ ماذا حدث يا (آلان) ؟!

عضَّ الفرنسى شفتيه ، دون أن يجيب ، ووجهه يزداد احتقانًا ، حتى انحرفت السيَّارة فى شارع جانبى ، فانفجر هاتفًا :

- خيانة .

وقبل أن يفهم (نور) و (أكرم) ما يعنيه ، كان يصوِّب مدفعه الآلى إليهما ، صائحًا فى غضب هادر :

- لقد خدعتمونا .. إنه فخ بالفعل .. فخ .

تفجَّرت موجة من التوتر العنيف بين الرجال ، إثر صيحة (آلان) ، وارتفعت كل فوهات المدافع الآلية نحو (نور) و (أكرم) فى انفعال شديد ، فهتف الأخير فى عصبية :

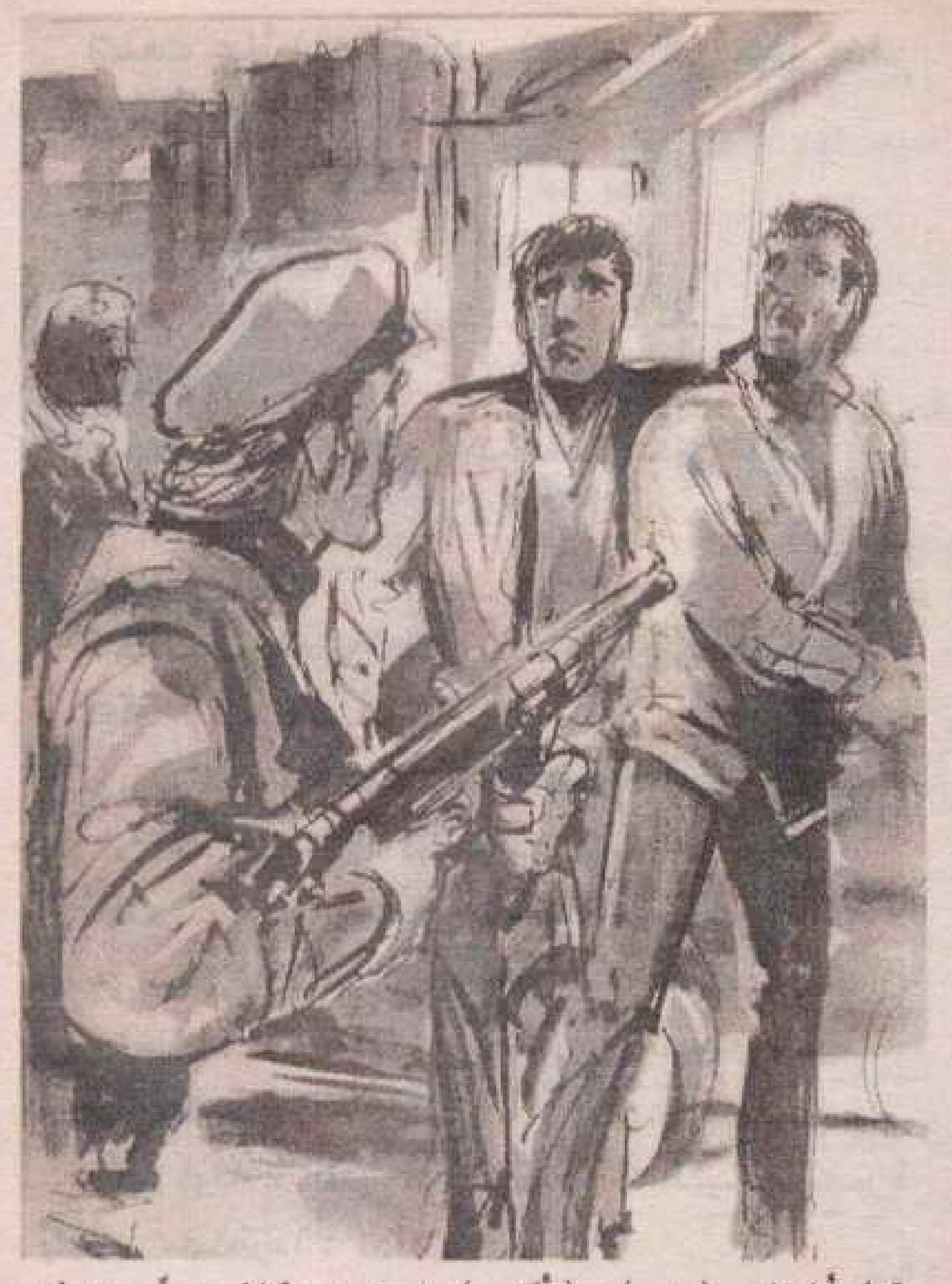
- اللعنة ! ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

أما (نور) ، فهتف :

- ماذا حدث بالضبط يا (آلان) ؟!

صاح (آلان) ، وهو يلوِّح بمدفعه :

- ذلك الألمانى القذر وجَّه إلىَّ اللوم ؛ لأننى ألقيت القبض عليكما ، وأخبرنى أن الجنرال (هولدشتاين) طلب مطاردتكم على نحو روتينى فحسب ، ولكنه أمر بعدم إطلاق النار عليكم ، وتيسير سبل الفرار لكم ، فما الذى يعنيه هذا ؟!



وقبل أن يفهم (نور) و (أكرم) ما يعنيه ، كان يصوِّب مدفعه الآلى إليهما ، صائحًا فى غضب هادر : - لقد خدعتمونا ! ..

اتسعت عينا (أكرم) فى ذهول ، فى حين هتف (نور) :

- يا إلهى ! (هولدشتاين) أمر بهذا ؟!

صاح به (آلان) :

- نعم .. لقد أراد حمايتكم أيها الخونة .

هتف (نور) :

- خطأ يا رجل .. لقد أراد تعقُّبنا ، حتى نوصله إلى ما يبتغيه .

صاح (آلان) :

- كاذب .. لن يمكنه تعقُّبكم ، ما لم يرسل رجاله خلفكم .

أجابه (نور) فى توتر :

- ربما كان هذا صحيحًا فى عصركم يا (آلان) ، أما فى عصرنا نحن ، فالأمر يختلف .

نطقها ، وهو يتحسَّس جسده فى سرعة ، ثم ينحنى لينتزع حذاءه ، ويفحصه فى اهتمام ، قبل أن ينتزع منه قطعة صغيرة ، فى حجم رأس الدبوس ، هاتفًا :

- أرأيت ؟!

وبكل قوته ، ألقى تلك القطعة المعدنية الصغيرة بعيدًا ، مستطردًا :

- لقد سمع كل كلمة نطقنا بها ، وهذا يعنى أن

(طارق) و (برجيت) والرجال فى خطر الآن .. سيعدَ لهم الألمان فخًا ، عند المدخل السرى .

صاح به أحد الرجال فى غضب ، وهو يصوِّب إليه فوهة مدفعه الآلى :

- سيحدث هذا بسبب خيانتك ، يا رجل المستقبل المزعوم .

قالها ، وضغط زناد المدفع ، فانقضَّ عليه (أكرم) بكل قوته ، هاتفًا :

- لا .. إلاَّ (نور) .

ارتفعت فوهة المدفع الآلى ، وانطلقت منها الرصاصات ، التى تردَّد صداها فى المنطقة كلها ، حتى بلغ أسماع (طارق) و (برجيت) ، ورجال المقاومة الآخرين ..

وبكل حماس ، وفور سماع الرصاصات ، هتف (طارق) :

- هيا .

نطقها ، وهو يقتحم المدخل السرى ، إلى داخل بيت الثعالب ، دون أن يدرى أنه يلقى بنفسه ومن معه فى فخ محكم ..

وقاتل .

* * *

٦ - التاريخ ..

راجع القائد الأعلى ذلك التقرير ، الذى حمله إليه الدكتور (ناظم) ، فى اهتمام بالغ ، مشوب بكثير من القلق ، قبل أن يرفع عينيه إليه ، قائلاً :

- هل تعتقد أن (سلوى) واثقة مما توصلت إليه ؟!

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى انفعال :

- تمام الثقة يا سيِّدى القائد .. لقد انتهت من فك رموز خريطة ثقوب الزمن ، ولم يعد لديها شك فى الأمر .

عاد القائد الأعلى يلقى نظرة على التقرير ، ثم هزَّ رأسه فى توتر ، قائلاً :

- ولكن لماذا لا يكون (طارق) قد استخدم التقويم نفسه ، المستخدم هنا ، بعد أن استقرَّ به المقام فى عصرنا ؟!

أشار الدكتور (ناظم) بيده ، قائلاً :

- لقد طرحت الاحتمال نفسه ، ولكنها فنَّدته ببساطة يا سيِّدى ، فقد سألتنى :

ولماذا لا يوجد ثقب واحد ، يقود إلى تاريخ سابق لتقويمنا ، على الرغم من أن (طارق) قد أشار إلى وصوله إلى أزمنه تتفق مع الحضارة ، التى أتى منها ؟!

أومأ القائد الأعلى برأسه ، مغمغمًا :

- هذا صحيح .

ثم نهض من خلف مكتبه ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يدور فى حجرته ، قائلاً :

- ولكن ما الذى يعنيه هذا ؟! لماذا جاء ذلك الشاب من المستقبل إلى عصرنا هذا ؟! ما الذى يسعى إليه بالضبط ؟!

أجابه فى سرعة :

- تغيير التاريخ .

توقَّف القائد الأعلى بحركة مباغتة ، والتفت إليه ، مكررًا :

- تغيير التاريخ ؟!

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم .. هذا هو أقرب تفسير منطقى ، فلقد وصل إلى هنا ، وزوَّر هوية له ، ولزملائه ، ثم راح جميعهم يجمعون المعلومات عن الفضاء المحيط بنا ، وعن طبيعة عصرنا ، فما الذى يعنيه هذا ؟!

قال القائد الأعلى :

- ولكن أحدهم لم يقم بأية خطوة ، من شأنها الإساءة إلينا .

هزَّ الدكتور (ناظم) كتفيه ، قائلاً :

- ومن أدرنا ؟! لقد أوقعنا بـ(طارق) وحده ، ولسنا ندرى ما يفعله الآخرون .

عقد القائد الأعلى حاجبيه فى شدة ، وهو يفكِّر فيما قاله الدكتور (ناظم) ، قبل أن يقول فى اهتمام :

- ولكن هناك نقاطًا تثير الحيرة ، لو أننا وافقنا على هذا الرأى .

سأله الدكتور (ناظم) :

- مثل ماذا ؟!

أجابه بسرعة :

- لماذا لم يسع حارس المقاتلة إلى الفارس الثانى أيضًا ؟! ولماذا اقتصر بحثه عن (طارق) وحده ؟!

بُهِتَ الدكتور (ناظم) ، وكأنه لم يفكِّر فى هذا الأمر قط ، فى حين تابع القائد الأعلى بنفس الاهتمام :

- وهذا يقودنا إلى سؤال آخر : لماذا رحلت المقاتلة الزمنية ، فور وصول (طارق) إليها ، ولم تحاول انتظار الآخرين ؟!

ورفع سبَّابته أمام وجهه ، مستطردًا :

- هذا لو أنه هناك آخرون حقًّا .

هتف الدكتور (ناظم) :

- من المؤكد أن هناك واحدًا آخر على الأقل .. لقد اقتحم كمبيوتر الأمن بالفعل .

هَزَّ القائد الأعلى رأسه فى قوة ، قائلاً :

- مجرَّد استنتاج افتراضى ، فمن الممكن جدًّا أن تكون عملية اختراق كمبيوتر الأمن هذه أحد أعمال الجاسوسية فى عصرنا هذا ، ولا علاقة لها بفارس زمنى آخر مزعوم .

قال الدكتور (ناظم) فى انفعال :

- ولكن أسلوب الاختراق متطوِّر للغاية .

قلب القائد الأعلى كفه ، قائلاً :

- هكذا أساليب التجسُّس العلمى دائمًا .. الخصم

يخترع وسيلة متطوِّرة ، ليخترق بها حصونك ، وأنت تتصدَّى له بوسيلة أكثر تطورًا ، وهكذا .

ثم وضع يده على كتفه ، مستطردًا بلهجة حازمة ، آمرة :

ـ عد إلى فريق (نور) ، وإلى الدكتورة (إلهام) ، واطرح هذه الأسئلة على الجميع ، ودعهم يبحثون عن أجوبة شافية لها .

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه متفهِّمًا ، وقال :

ـ سأفعل أيها القائد ، حتى ولو .....

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلق أزيز خاص من ساعته ، فرفعها إلى شفتيه في سرعة ، هاتفًا :

ـ ماذا هناك ؟!

أتاه صوت أحد رجال أمن مركز الأبحاث ، يجيب في توتر :

ـ هناك محاولة اختراق جديدة يا دكتور (ناظم) .. لقد طلبت منا إبلاغك فور الـ ...

أنهى الدكتور (ناظم) الاتصال ، قبل أن يكمل الرجل عبارته ، وهتف ، وهو يضغط زرًا آخر في ساعته :

ـ يا إلهي! محاولة اختراق جديدة .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يهتف في انزعاج .

ـ محاولة جديدة ؟!

هتف الدكتور (ناظم) عبر جهاز الاتصال الدقيق في ساعته :

ـ (نشوى) .. هل تسمعينني ؟!

خرج صوتها من سمَّاعة الساعة ، يقول :

ـ اسمعك جيِّدًا يا دكتور (ناظم) .. أهو اختراق جديد !؟

هتف بها :

ـ أسرعي باللّه عليك .. أسرعي .

أمسك القائد الأعلى يده في قوة ، قائلاً :

ـ هل كنتم تتوقعون هذا ؟!

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه في انفعال ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد ، وستتعقَّب (نشوى) هذا الاختراق ، بأسرع ما يمكنها .

قبضت أصابع القائد الأعلى على معصمه ، وهو يقول :

- أتعشّم هذا .. أتعشّم هذا .

مضت لحظات من الصمت ، وكلاهما يتطلّع إلى الساعة فى توتر ، حتى انبعث منها صوت (نشوى) ، وهى تقول فى عصبية :

- لقد انتهى الاختراق ، قبل أن نبلغ مصدره بالتحديد .

احتقن وجه القائد الأعلى ، وهو يعض شفته السفلى فى حنق ، فى حين هتف الدكتور (ناظم) :

- اللعنة !

ولكن (نشوى) استدركت فى سرعة :

- ولكننى استطعت تحديد المنطقة ، التى يأتى منها ، على نحو تقريبى .

سألها الدكتور (ناظم) فى لهفة :

- وما هى ؟!

صمتت لحظة ، وكأنها تراجع نتائجها ، قبل أن تجيب ، فى توتر ملحوظ :

- منطقتك يا دكتور (ناظم) .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، فى حين هتف الدكتور (ناظم) فى دهشة :

- منطقتى ؟!

أجابته (نشوى) :

- نعم يا دكتور (ناظم) .. لقد خرجت محاولة الاختراق من نفس المنطقة ، التى يحتلّها المركز .. مركز الأبحاث العلمية .

واتسعت عينا الدكتور (ناظم) عن آخرهما ، وقلبه ينبض فى عنف ..

وفى ارتياع ..

★ ★ ★

فى نفس اللحظة ، التى اقتحم فيها (طارق) المدخل السرى ، قفزت إلى ذهنه تلك الفكرة ..

لماذا كان هروبهم سهلاً . إلى هذا الحد ؟!

لماذا لم تصبهم طلقة واحدة ، على الرغم من سيل الرصاصات ، الذى انهمر عليهم من كل صوب ؟!

حتى راكب الدرّاجة البخارية ، لم يطلق النار نحوهم مباشرة !!

لقد اكتفى بتفجير إطار السيارة الخلفى !!

فلماذا ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

صحيح أنه كان يعرف موضع المخرج السرى ، من دراسته المكثفة لتلك الفترة الزمنية ، وكل ما يتعلق بها ، ولكن الممر كان خاليًا ، وكذلك الحجرة ، و ......

ومع تلك الأفكار الملتهبة ، التى دارت كلها فى رأسه ، فى ثانية واحدة ، لمح طرف زى ألمانى ، خلف الجدار المتحرك ، للمدخل السرى ..

وهنا وثبت الحقيقة كلها إلى رأسه ..

إنه فخ ..

فخ محكم ..

وبمبادرة سريعة إلى حد مدهش ، تراجع (طارق) ، وجذب الجدار ليغلقه فى عنف ، صائحًا :

ـ تراجعوا .. إنه فخ .

كان الرجال يندفعون خلفه ، عندما انطلقت صيحته ، فاصطدم بعضهم بالبعض ، ثم تراجعوا فى توتر شديد ، وسرت بينهم همهمة قوية ، ترددت خلالها كلمة (فخ) عشرات المرات ، قبل أن تهتف بها (برجيت) :

ـ فخ ؟! ماذا تعنى يا (طارق) ؟!

لم تكد عبارتها تكتمل ، حتى برز الجنود الألمان ، من كل مكان ، فصرخ أحد رجال المقاومة فى غضب ثائر :

ـ خيانة .

ومع آخر حروف صيحته ، ارتفعت فوهات عشرات المدافع الآلية نحوهم ..

وتحرك عدد من رجال المقاومة الفرنسية ، لتبادل إطلاق النيران مع الألمان ، ولكن (طارق) هتف بهم :

ـ لا .. سيتحول الأمر إلى مذبحة .

استدار إليه أحدهم بحركة حادة ، وهوى على فكه بكعب مدفعه ، صائحًا :

ـ لا تحاول أيها الخائن .. لقد انكشف أمرك .

صرخت (برجيت) فى هلع ، عندما ألقت الضربة (طارق) ، ليرتطم بالجدار المتحرك فى قوة ، فى نفس اللحظة ، التى صرخ فيها رجل آخر ، من رجال المقاومة ، وهو يرفع مدفعه :

ـ الموت للمحتل النازى ..

ومع صرخته ، انطلقت رصاصات مدفعه ..

وانفتحت أبواب الجحيم ..

على مصراعيها ..

ومع دوى الرصاصات ، صرخ (آلان) ، ملوحًا بمدفعه فى وجه (نور) :

ـ لقد خدعتنا .. أنت قدتنا إلى هنا .

صاح به (نور) :

ـ اهدأ ، واستعد قدرتك على التفكير يا رجل .. إنك لن تربح حربك بالصراخ والغضب .. امنح عقلك فرصة إعادة تقييم الأمور .

هتف رجل آخر ، من رجال المقاومة :

ـ كل ما يمكننا منحك إياه ، هو رصاصة فى منتصف جبهتك ، يا رجل المستقبل المزعوم .

رفع (أكرم) مدفعه بدوره ، صائحًا فى صرامة :

ـ لو مسَّ أحدكم شعرة من رأس (نور) ، فسوف ..

قبل أن يتمَّ صيحته ، ارتفعت فوهات كل المدافع الآلية فى وجهه ، فصاح (نور) :

ـ أية حماقة تلك ؟! إنكم تتركون رفاقكم يقاتلون ، لتوجِّهوا لنا اتهامًا سخيفًا بالخيانة ! أى دليل لديكم على مثل هذا الاتهام ؟!

تراجع أحد الرجال فى حركة حادة ، وهو يهتف فى انزعاج :

ـ هذا .

التفت (نور) فى سرعة ، إلى حيث يشير الرجل ، فى نفس اللحظة ، التى انطلقت فيها صيحات غضب مذعورة من الآخرين ، وانعقد حاجباه فى شدة ..

فمن كل مكان حولهم ، برزت الدبابات الألمانية ، مصوبة مدافعها إليهم ، وانطلق فى المكان صوت (هولدشتاين) الصارم ، وهو يقول بالفرنسية :

ـ انتهى الأمر أيها السادة .. لقد وقعتم فى قبضتنا ، كما وقع رفاقكم .

انتبه الجميع عندئذ ، إلى أن دوى الرصاصات قد توقَّف تمامًا ، فهتف (آلان) فى مرارة :

ـ إنه على حق .. لقد وقعنا فى قبضتهم .

وغمغم رجل آخر ، فى حنق ساخط :

ـ انتهت المقاومة الفرنسية .

وازداد انعقاد حاجبى (نور) فى شدة ، فما قاله الرجل كان يعنى أن (هولدشتاين) قد نجح أخيرًا فى فرض سيطرته على الموقف ..

وعلى التاريخ ..
التاريخ كله ..

★ ★ ★

نهضت الدكتورة (إلهام) من خلف مكتبها ، لتستقبل الدكتور (ناظم) بابتسامة رقيقة ، وتصافحه ، قائلة :

- مرحبًا يا دكتور (ناظم) .. تُرى هل توصلتم إلى ما تبحثون عنه ؟!

أجابها فى رصانة متحفظة :

- ليس بعد .

ثم استدار يشير بيده إلى شخص ما ، خارج الحجرة ، فأدارت الدكتورة (إلهام) عينيها إلى حيث يدير ، قبل أن تهتف فى دهشة مستنكرة :

- ما هذا بالضبط ؟!

لم يكن ذلك الذى رأته مجرَّد شخص واحد ، وإنما ثلاثة أشخاص ، يحملون جهازًا إليكترونيًا حديثًا ، اندفعوا إلى معملها ، وراحوا يفحصون أثاثه وجدرانه بجهازهم ، والدكتور (ناظم) يقول :

- معذرة يا دكتورة (إلهام) ، ولكن ما سنتحدَّث

فيه مهم وسرى للغاية ، ولا بد من التأكد من أن أحدًا لن ينضمَّ إلينا ، عبر أجهزة تنصُّت أو مراقبة سرية .

لوَّحت بيدها فى غضب ، قائلة :

- ولكن معملى يحوى عشرات الأجهزة الدقيقة ، التى يمكن أن يفسدها جهازكم هذا .

أشار إليها ، مجيبًا فى حزم :

- اطمئنى .. الرجال يعرفون عملهم جيِّدًا .

بدا عليها الغضب والتوتر ، وهى تتابع الرجال ببصرها ، حتى انتهوا من عملهم ، وأدَّى رئيسهم تحية عسكرية للدكتور (ناظم) ، قائلاً :

- كل شىء نظيف .

بدا الارتياح على وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

- عظيم .. قفوا بالباب ، ولا تسمحوا لأحد بالدخول .

أدَّى الرجل التحية العسكرية مرة أخرى ، قائلاً :

- كما تأمر يا سيِّدى .

تضاعف توتُّر الدكتورة (إلهام) ، وهى تقول :

- ما الذى يعنيه كل هذا يا دكتور (ناظم) ؟!

ظلَّ صامتًا ، حتى غادر الرجال الثلاثة الحجرة ، وأغلقوا الباب خلفهم ، ثم أجاب فى حزم :

- سبق أن أخبرتك يا دكتورة .. الأمر مهم وخطير للغاية .

تطلَّعت إليه بعينين قلقتين ، متسائلتين ، دون أن تنبس ببنت شفة ، وهو يدور فى معملها ، ويلقى نظرة على أجهزتها ، قبل أن يلتفت إليها ، قائلاً :

- لقد توصلنا إلى شخصية أحد جواسيس الزمن .

اتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تهتف :

- توصَّلتم إلى ماذا ؟!

قال ، متجاهلاً سؤالها :

- الواقع أن الأمر كان مفاجئًا للغاية .. بل مذهلاً ، لو شئنا الدقة .

عقدت ساعديها أمام صدرها ، وقالت فى عصبية :

- دكتور (ناظم) .. ما الذى تشير إليه بالضبط ؟!

أشار بسبَّابته إليها ، هاتفًا :

- إليك يا دكتورة (إلهام) .

تراجعت كالمصعوقة ، هاتفة :

- أنا ؟!

خفض سبَّابته ، وتنهَّد ، قائلاً :

- نعم .. أنت يا دكتورة (إلهام) .

امتقع وجهها بشدة ، وتجمَّدت الكلمات على شفتيها ، وأطلَّ الذعر من عينيها ، قبل أن يكمل الدكتور (ناظم) :

- أنت أملنا الوحيد ، فى الإيقاع بذلك الجاسوس الزمنى .

حدَّقت فى وجهه لحظة ، قبل أن ينطلق من صدرها زفيرًا ملتهبًا ، وهى تقول :

- يا إلهى ! لقد كدت تقتلنى هلعًا يا دكتور (ناظم) .

سألها فى دهشة :

- أنا ؟! ولماذا ؟!

أطلقت ضحكة عالية ، لتفرغ معها توترها ، قبل أن تلوِّح بيدها ، قائلة :

- لا عليك .. لا عليك .

وعادت تجلس خلف مكتبها ، مستطردة :

- المهم .. كيف يمكننى مساعدتكم ، فى هذا الشأن ؟!

جذب مقعدًا ؛ ليجلس أمامها ، ويميل نحوها ، قائلاً :

- لقد توصلنا إلى موقع الجاسوس ، وبقى أن نعرف هويته .

سألته فى اهتمام :
ـ وما موقعه ؟!
خفض صوته أكثر ، وهو يجيب :
ـ هنا .
تراجعت كالمصعوقة ، هاتفة :
ـ هنا ؟! ماذا تعنى يا دكتور (ناظم) ؟!
هزَّ رأسه فى أسف ، مجيبًا :
ـ ما فهمته بالضبط يا دكتورة (إلهام) .. وللأسف الشديد ، فذلك الجاسوس الزمنى المجهول يعمل هنا .. فى مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية المصرية .. أرفع جهاز أمنى ، فى العالم العربى كله .
شحب وجهها ، وهى تغمغم :
ـ هنا ؟!
عاد يهزّ رأسه فى أسف ، قائلاً :
ـ أمر رهيب للغاية يا دكتورة (إلهام) ، فمن الواضح أن جواسيس المستقبل هؤلاء بارعون للغاية ، وعلومهم تفوق علومنا بكثير ، حتى إنهم نجحوا فى اختراق كل نظم الكمبيوتر الأمنية ، وصنعوا لأنفسهم تاريخًا يستحيل كشف أمره ، بحيث أصبحوا ،

من الناحية الرسمية ، مواطنين مصريين شرفاء ، بل وشرفاء للغاية ، وإلى الحد الذى جعل اختيار المؤسسات الأمنية يقع عليهم بالذات ، للانضمام إلى أكثر المراكز أهمية وحساسية ، فنجد أحدهم يعمل فى مؤسسة الرياسة ، ثم ينضمَ إلى المخابرات العلمية ، والآخر يعمل هنا ، فى مركز الأبحاث .
التقى حاجباها ، وهى تتراجع فى مقعدها ببطء ، وتشبك أصابع كفيها أمام وجهها ، ثم تسأل فى بطء :
ـ وكيف أمكنكم التوصُّل إلى هذا ؟!
شرح لها ما توصَّلت إليه (نشوى) فى اختصار ، فهزَّت رأسها فى إعجاب ، وقالت :
ـ فريق (نور) هذا عبقرى بالفعل .
ثم عادت تعتدل فى مقعدها ، وتسأل فى اهتمام :
ـ ولكن هذا لا يجيب عن سؤالى .. كيف يمكننى مساعدتكم ؟!
أشار بيده ، قائلاً :
ـ (نشوى) و (سلوى) تفحصان ملفات الكمبيوتر ، الخاصة بكل العاملين ، فى مركز الأبحاث العلمية ، فى محاولة لكشف الجاسوس الزمنى ، ولكننا نؤمن

بأن هذا لن يؤدىّ إلى شىء ، فالملفات كلها ستكون دقيقة وسليمة للغاية ، واحتمال تكرار تلك المصادفة ، التى أدَّت إلى كشف أمر (طارق) ، لا يصل إلى واحد فى كل مليار ، وهذا يعنى أنه من الضرورى أن تكون لدينا وسيلة أخرى ؛ لكشف جاسوس الزمن .

سألته فى اهتمام :

- والمفترض أنه هناك صلة وثيقة ، بينى وبين تلك الوسيلة الأخرى .. أليس كذلك ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

- بلى .. إنها تعتمد اعتمادًا رئيسيًا على خبراتك .

تراجعت مرة أخرى ، وهى تسأله :

- كيف ؟!

أجاب فى سرعة :

- نريد أن تراجعى التفاعلات الحيوية ، لكل العاملين هنا ، وتقومى بمقارنتها بالتفاعلات الحيوية للجاسوس .

رفعت حاجبيها ، وخفضتهما ، قائلة :

- وهل تعتقدون أن هذا سيؤدى إلى شىء ما ؟!

أومأ برأسه إيجابًا فى حزم ، وهو يقول :

- نعم .. نحن نعتقد هذا .

صمتت طويلاً ، وهى تتطلع إليه ، مفكرة فى عمق ، قبل أن تومئ برأسها بدورها ، قائلة :

- بالتأكيد يا دكتور (ناظم) .. صحيح أن التفاعلات الحيوية ليست من الأمور ، التى تتضمنها التقارير الطبية المعتادة ، ولكننى أعتقد أن فحصها قد يؤدى بالفعل إلى كشف أمر الجاسوس :

وتنفس الدكتور (ناظم) الصعداء ، مغمغمًا :

- عظيم .. عظيم ..

فقد كان هذا يعنى خطوة واسعة كبيرة ، فى الطريق إلى كشف جاسوس الزمن ..

الثانى ..

★ ★ ★

لم ير (نور) فى حياته كلها ، ابتسامة أكثر ظفرًا وشرًا وتشفيًا ، من ابتسامة (هولدشتاين) ، وهو يتطلع إليه ، وإلى (طارق) و (أكرم) ، داخل نفس الزنزانة الصغيرة ، قائلاً بالعربية :

- هل تصوَّرتم حقًا ، أنكم تستطيعون الفرار من هنا ، دون أن أرغب أنا فى هذا ؟! يا لكم من حمقى !!

كل شىء هنا يحدث بإرادتى وحدها .. صحيح أننى تركتكم مقيدين ، مع اثنين من الحرس ، اخترتهم بعناية بالغة ، من بين أكثر الجنود غباءً ، إلا أننى كنت أعلم أنكم تستطيعون تدبير أمركم ، والفرار من هنا ، بأقل خسائر ممكنة .

ولوَّح بيده ، وهو يضع ساقًا فوق أخرى ، مستطردًا :

ـ ولكننى ، وعلى الرغم من كل هذا ، اتخذت كافة الاحتياطات اللازمة ، لضمان وصولكم إلى آلة الزمن سالمين .

هتف (أكرم) فى حنق :

ـ أهذا ما كنت تسعى إليه ؟! آلة الزمن ، التى أحضرتنا إلى هنا ؟!

التفت إليه (طارق) فى بطء ، متسائلاً :

ـ ألم تكن تدرك هذا ؟!

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يغمغم فى سخط :

ـ هل نسيت ؟! إننى الوحيد الذى لا يفهم شيئًا فى المعتاد .

قهقه (هولدشتاين) ضاحكًا ، قبل أن يلوِّح بيده ، قائلاً :

ـ ليس إلى هذا الحد يا سيِّد (أكرم) .. صحيح أنك همجى وسريع التأثُّر ، كما قالت عنك كتب التاريخ ، ولكن هذا لم يمنعك من إنقاذ العالم كله يومًا .

هتف (أكرم) مبهورًا :

ـ أنا ؟!

مال (هولدشتاين) إلى الأمام ، قائلاً : فى صرامة مباغتة :

ـ كان هذا فى التاريخ القديم .

قال (نور) فى صرامة :

ـ التاريخ لم يتغيَّر بعد يا (هولدشتاين) .

ابتسم الجنرال الشيطانى فى سخرية ، قائلاً :

ـ هذا ما تتصوَّره يا (نور) .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ بل هذه هى الحقيقة يا دكتور (خالد) .. الأمور ما زالت تسير على الوتيرة نفسها ، التى عرفناها فى عصرنا ، حتى بعد انتصارك علينا ، فنحن خارج التاريخ عمليًا .

نهض (هولدشتاين) ، واقترب منه ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره فى قوة ، وقال :

- وماذا لو أننى جعلت (الفوهلر) يتفادى كل الأخطاء ، التى أدَّت إلى هزيمة (ألمانيا) ، فى الحرب العالمية الثانية ؟! ماذا لو قدته إلى اختراع القنبلة الذرية ، قبل أن تفعل (أمريكا) ؟! ألن يغيِّر هذا سياق التاريخ ؟!

تطلعَ (نور) إلى عينيه مباشرة ، وهو يجيب فى تحد :

- وماذا يمكن أن تربح أنت من هذا ؟!

لوَّح بكفه ، هاتفًا :

- أنا جنرال ألمانى عظيم ، وانتصار (ألمانيا) سيضعنى على القمة .

سأله (طارق) فى سخرية :

- وهل سيمنحك (الفوهلر) الفرصة لهذا ؟!

التفت إليه (هولدشتاين) ، قائلاً فى صرامة :

- عندما يتغيَّر التاريخ ، لن تقف قوة فى طريقى ، وسأسحق أى شىء ، وأى شخص يعترض مسيرتى .

قال (أكرم) فى حنق :

- وما الذى يمكن أن يمنحك القوة ، فى أمر كهذا ؟!

التفت إليه (هولدشتاين) ، قائلاً فى استخفاف :

- تمامًا كما كتبوا عنك .

ثم عاد يتحرَّك فى هدوء ، مستطردًا بلهجة حازمة حاسمة :

- أشياء كثيرة عظيمة ، يمكن أن تحدث بعد الحرب ، عندما تصبح ألمانيا النازية ، على قمة العالم .. وخاصة مع وجود شخص مثلى .. كل الأراضى الخالية ، فى العالم الجديد ، ستصبح ملكًا لى .. كل التكنولوجيا المتطوِّرة ، ستحمل اسمى .. أنا وحدى سأصبح إمبراطورية اقتصادية هائلة ، وقوة سياسية لا مثيل لها . وسينعكس هذا حتمًا على المستقبل .. على كل عصوره ، وسوف ..

قاطعه (نور) فى حدة :

- ما لم يسحقه (هتلر) عن آخره .

التفت إليه (هولدشتاين) فى غضب ، فتابع بنفس الحدة :

- إنه لن يستطيع التوقُّف ، بعد أن يمتلك سرَّ القنبلة الذرية ، ومدافع الليزر ، والكمبيوتر النقَّال .. لن يستطيع التوقُّف ، قبل أن يسحق العالم أجمع .

التقى إليه (هولدشتاين) فى شدة ، وهو يقول صارمًا :

- عندما تنتصر (ألمانيا) ، لن يكون هناك وجود لرجل مثل (أدولف هتلر) .

سأله (طارق) فى حذر :

- هل ستقتله ؟!

أجابه فى حدة :

- ليس هذا من شأنك .

ثم لوَّح بذراعيه فى غضب ، مستطردًا :

- أظننى سمحت لكم بالكثير من الحديث ، مما أفسد عقولكم ، وجعلكم تتصوَّرون أنكم تستطيعون مناقشتى ومحاورتى كما تشاءون .

وأطلت شياطين الثورة من عينيه ، وهو يسألهم فى شراسة :

- أين آلة الزمن ، التى أتت بكم إلى هنا ؟

بدت ملامحهم جامدة ، صارمة ، متحدَية ، فهتف بوحشية :

- لا تتصوَّروا أننى عاجز عن انتزاع هذا السر منكم .

أجابه (نور) فى صرامة :

- فلتعترف بأن خطتك قد فشلت يا (هولدشتاين) ..

لقد عدنا إليك ، بدلاً من أن نقودك إلى آلة الزمن ، وأنت تعلم أنك لن تنتزع سرها منا ، حتى ولو مزَقتنا إربًا .

هتف به (هولدشتاين) ، فى صوت مبحوح ، من فرط الانفعال :

- وماذا عن الآخرين ؟!

تطلَّع إليه (نور) بنظرة متوترة ، دون أن يجيب ، فى حين هتف (طارق) فى انزعاج :

- أىّ آخرين ؟!

أدار (هولدشتاين) عينيه إليه ، مجيبًا بنفس الشراسة :

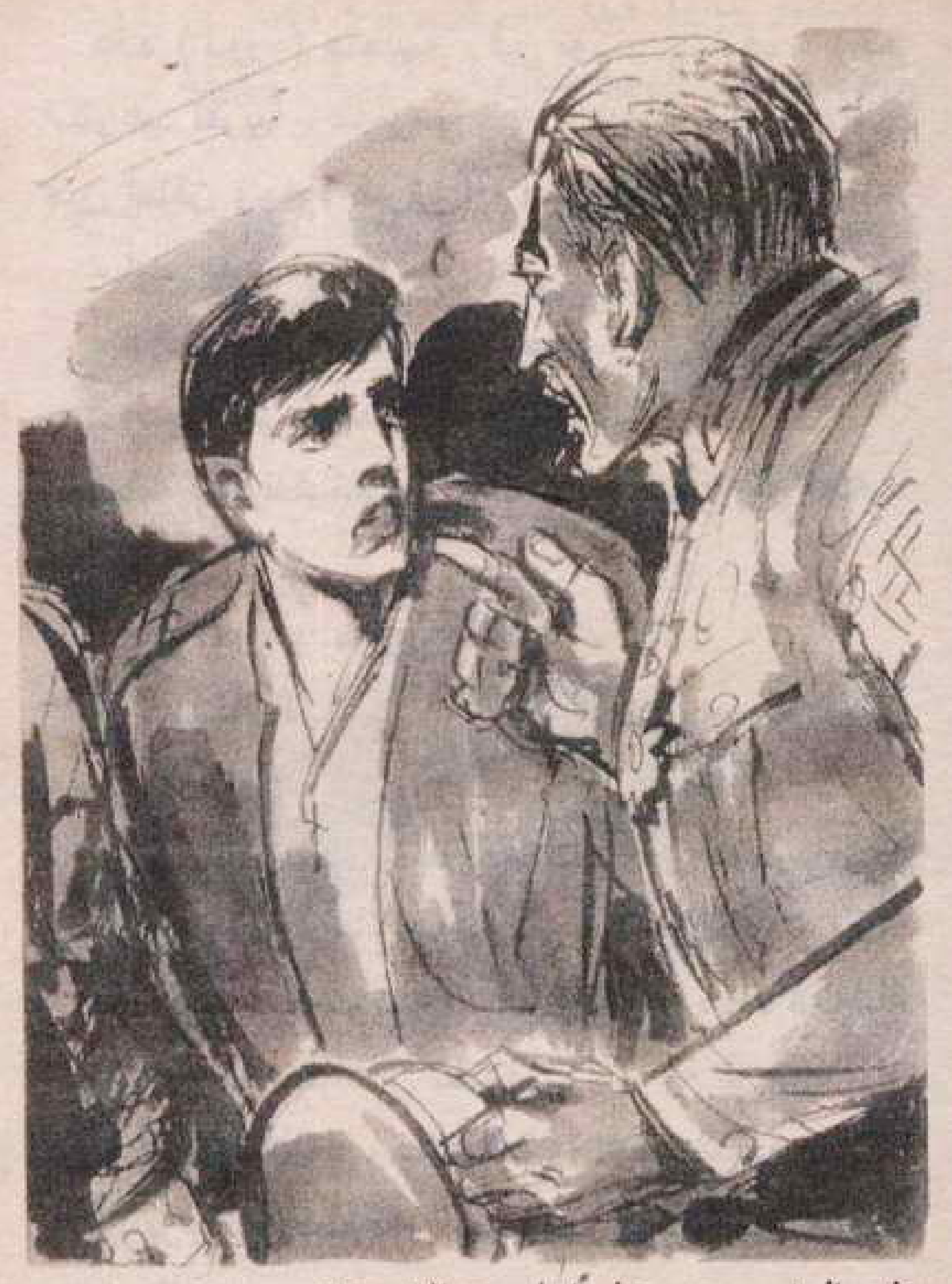
- رجال المقاومة الفرنسية .

سأله (أكرم) فى غضب :

- وما شأنك بهم ؟!

لوَّح الجنرال بكفه ، قائلاً :

- إنهم أسرى قبضتى .. أعظم انتصار تحقَّق فى (أوروبا) كلها .. منذ خمسة أشهر على الأقل .. تصوَّر ما سيفعله (الفوهلر) ، عندما يعلم أن (فريدريش هولدشتاين) ، جنراله الأثير ، قد سحق المقاومة الفرنسية كلها بضربة واحدة .



ثم مال نحوه ، مستطردًا بلهجته الشرسة :
ـ ولكن ، فى كثير من الأحيان ..

احتقن وجه (طارق) ، وهو يقول :

ـ اسمع يا هذا .. لو مسست شعرة واحدة من رأس (برجيت) ، فسوف ..

قاطعه (هولدشتاين) بعينين متألقتين :

ـ آه .. (برجيت) .. الفتاة تخصك إذن ؟!

أدرك (طارق) على الفور ذلك الخطأ ، الذى وقع فيه ، فعضَّ شفتيه فى غيظ ، فى حين غمغم (أكرم) فى حنق :

ـ لم يكن ينبغى أن تخبره .

قال (نور) فى بطء :

ـ لن يصنع هذا فارقًا .

أدار (هولدشتاين) عينيه إليه ، فى حركة حادة ، فتابع :

ـ ذلك الوغد كان ينوى قتل الجميع بلا رحمة .

رفع الجنرال سبَّابته ، قائلاً فى سرعة :

ـ هذا صحيح يا (نور) .

ثم مال نحوه ، مستطردًا بلهجته الشرسة :

ـ ولكن ، فى كثير من الأحيان ، يكون الموت هو أكثر ما ينتظر المرء رحمة وهوانًا .

عقد (نور) حاجبيه ، فى توتر جارف ، وقد استوعب تقريبًا ، ما يرمى إليه (هولدشتاين) ، فى حين احتقن وجه (طارق) ، وهو يقول :

ـ أيها الوغد .

أما (أكرم) ، فهتف فى غضب :

ـ أعتقد أننى فهمت هذه المرة .

قهقه (هولدشتاين) ضاحكًا ، ولوَّح بذراعه ، وهو يقول :

ـ هذا لأنه أمر همجى مثلك .

ثم ألقى نظرة على ساعته ، قبل أن يستطرد فى صرامة :

ـ اسمعونى جيِّدًا .. أمر إعدامكم ما زال ساريًا ، لم يتمَّ إلغاؤه بعد ، وما زال أمامكم نصف الساعة ، قبل أن يحين موعد تنفيذه .. وسأمنحكم هذه المهلة لاتخاذ قراركم ، فإما أن تخبرونى أين آلة الزمن ، أو أجمعكم جميعًا ، مع رجال المقاومة الفرنسية ، فيما عدا (برجيت) بالطبع ، ويطلق رجالى النار عليكم بلا استثناء .

واستدار متجهًا نحو باب الزنزانة ، قبل أن يلتفت إليهم ، مضيفًا بلهجة صارمة ، قاسية ، مخيفة :

ـ مع مطلع الفجر .

قالها ، وصفق الباب خلفه فى عنف ، تاركًا الثلاثة يواجهون أصعب اختيار فى رحلتهم هذه ..
بل فى تاريخهم كله .

★ ★ ★



٧ - الاختيـــار ..

بدا الانبهار واضحًا ، على وجه الدكتورة (إلهام) ، وهى تدخل إلى حجرة الفريـق ، فـى مبنـى المخـابرات العلمية ، ودارت عيناها فى المكان ، بانفعال ملحوظ ، قبل أن تتوقفا عند (رمزى) ، الذى نهض ليصافحها ، قائلاً :

- مرحبًا يا دكتورة (إلهـام) .. الدكتـور (نـاظم) يؤكد أنك أفضل من يقوم بالمهمة ، التى نحن بصددها .

غمغمت مبتسمة :

- أتعشَّم هذا .

ثم صافحت (سلوى) و (نشوى) ، مستطردةً :

- لقد قرأت كل ما توصَّلتم إليه ، منذ .. منذ رحيـل تلك المقاتلة الزمنية .

بدا الحزن واضحًا ، فى صوت (سلوى) وملامحها ، وهى تقول :

- لا يمكنك أن تتصوَّرى ، كم أتمنى عودتها .

أجابتها (إلهام) فى ثقة عجيبة :

- ستعود بإذن الله (سبحانه وتعالى) .

ارتفع حاجبا (رمزى) فـى دهشـة ، لتلك الثقـة القوية فى صوتها ، فاستدركت ضاحكة فى ارتباك :

- أعنى أننا سنبذل قصـارى جهدنـا جميعًـا لهـذا .. أليس كذلك ؟!

غمغمت (نشوى) :

- بالتأكيد .

ثم اتجهت إلـى جهـاز الكمبيوتـر الخـاص بهـا ، مستطردة فى اهتمام :

- لقد قمت بحصر محدود ، لكل من تنطبق عليهـم الصفـات الجسمانية ، التـى اقترحهـا الكمبيوتـر ، مـن بين كل العاملين فى مركز الأبحاث العلمية .

تطلَّعت (إلهام) إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلة :

- خمسة أشخاص فحسب .

أجابتها (نشوى) :

- عليك اختصارهم إلى شخص واحد فحسب .

لوَّحت بيدها ، قائلة :

- سأبذل قصارى جهدى .

ثم عادت تدير عينيها فى المكان ، قبل أن تتابع :
ـ ولكننى أريد معرفة كل ما توصلتم إليه ، بشأن مقاتلة الزمن .
انعقد حاجبا (رمزى) وهو يجيب فى حزم :
ـ هذا غير متاح على الإطلاق .
استدارت إليه فى غضب ، قائلة :
ـ ماذا تعنى بأنه غير متاح ؟!
أجابها فى صرامة :
ـ أعتقد أن الأمر أبسط من أن يحتاج إلى توضيح ، يا دكتورة (إلهام) ، فطبقًا لأوامر القيادة ، تندرج كل المعلومات الخاصة بالمقاتلة الزمنية ، تحت بند السرية المطلقة ، وهذا يعنى أن الاطلاع عليها يحتاج إلى تصريح خاص ، على أعلى مستوى ممكن .
تضاعف الغضب فى ملامحها ، وبدا وكأنها تهمّ بقول شىء ما ، إلا أنها لم تلبث أن تراجعت فى سرعة ، وازدردت لعابها ، فى محاولة للسيطرة على أعصابها ، قبل أن تغمغم :
ـ كنت أظننى جزءًا من الفريق .
هزّ رأسه فى هدوء ، مجيبًا :

ـ لم تصلنى أية تعليمات بذلك بعد .
تعلّقت عيناها بعينيه لحظة ، ثم لم تلبث أن تنهّدت ، قائلة :
ـ المفترض أن كل معلومة متاحة ، قد تساعد فى التوصّل إلى فارس الزمن الثانى .
قالتها ، ولوّحت بكفها ، مستطردة :
ـ ولكن لا بأس .. سأكتفى بالموجود .
وراحت تراجع بيانات الرجال الخمسة ، الذين انتقاهم الكمبيوتر ، من بين كل العاملين فى مركز الأبحاث العلمية ، و (نشوى) تسألها :
ـ هل يمكنك انتقاء أحدهم ؟!
هزّت رأسها نفيًا ، وقالت :
ـ الأفضل أن نسعى لاستبعاد بعضهم أولاً .
وصمتت طويلاً ، وهى تتطلّع إلى شاشة الكمبيوتر ، ثم قالت متنهّدة :
ـ ولكن الاختيار عسير للغاية .
أومأت (نشوى) برأسها إيجابًا ، وقالت :
ـ الكمبيوتر أيضًا يرى هذا .
تراجعت الدكتورة (إلهام) ، قائلة :

ـ لهذا ينبغى أن نلجأ إلى اختبار من نوع آخر .

سألتها (سلوى) فى اهتمام :

ـ مثل ماذا ؟!

أجابتها فى سرعة :

ـ اختبار تماثل .

تساءل (رمزى) فى حذر ، لم يدر لماذا تسلّل إلى صوته ولهجته :

ـ تماثل ؟!

التفتت إليه الدكتورة (إلهام) ، قائلة :

ـ نعم يا دكتور (رمزى) .. اختبار تماثل .. لا بد أن نضع كلاً من المشتبه فيهم ، فى ظروف تتشابه مع ظروف كابينة المقاتلة الزمنية ، ونقوم بتسجيل تفاعلاته الحيوية ، فى تلك الظروف ، ثم نقارن تفاعلاتهم الاختبارية ، مع تلك التى تم تسجيلها داخل المقاتلة نفسها .

أومأت (نشوى) برأسها ، هاتفة :

ـ فكرة ممتازة .

وتمتمت (سلوى) :

ـ هل تعتقدون أن هذا يكفى ؟!

نهضت الدكتورة (إلهام) من مقعدها ، قائلة فى حزم :

ـ لو أنك تقصدين ما إذا كان هذا يكفى لاستعادة زوجك ، فالجواب هو أننى لست أدرى بالضبط يا سيِّدتى ، أما إذا كنت تعنين أنه يكفى لكشف فارس الزمن الثانى ، فالجواب هو نعم .

ألقت كلماتها هذه ، وهى تتجه نحو الباب ، وتفتحه ، ثم توقَّفت عنده لحظة فى صمت ، وهى توليهم ظهرها ، قبل أن تلتفت إليهم فى بطء ، وترمق (رمزى) بنظرة طويلة ، بدت له وكأنها تحمل لمحة من التحدّى ، وهى تقول :

ـ أخبرونى ، عندما تستعدون لإجراء الاختبار .

ثم غادرت المكان ، وأغلقت الباب خلفها فى قوة ..

وفى توتر ، أدارت (سلوى) عينيها إلى ابنتها ، فقالت هذه الأخيرة :

ـ إنها عبقرية فى مجالها ، كما قال الدكتور (ناظم) .

أما (رمزى) ، فقد ظلّ يتطلّع إلى الباب ، الذى أغلقته الدكتورة (إلهام) خلفها ، وكأنه يحاول اختراقه ببصره ..

بل والنفاذ إلى أعمق أعماق الدكتورة (إلهام) نفسها ..

فعلى الرغم من عبقريتها الواضحة ، وخبراتها الواسعة فى هذا المضمار ، كان هناك شىء ما فى أعماقه ، لا يشعر نحوها بالارتياح ..

لا يشعر بهذا قط ..

★ ★ ★

« هل رأيت ما قادتنا إليه مقاتلتك اللعينة ؟! »

هتف (أكرم) بالعبارة فى حنق ، داخل الزنزانة الصغيرة ، فى قبو بيت الثعالب ، وهو يجاهد للتخلص من أغلاله المعدنية ، قبل أن يستطرد غاضبًا :

ـ لقد انتزعتنا من عصرنا ، وألقت بنا هنا ، فى زمن الدم هذا ، لنلقى مصرعنا ، قبل سنوات من مولدنا .

تمتم (طارق) ، فى أسى حقيقى :

ـ إننى لم أقصد هذا قط .

التفت إليه (نور) ، قائلاً فى صرامة :

ـ حقًا ؟!

التفت إليه (طارق) فى صمت ، فتابع غاضبًا :

ـ أكان كل هذا من قبيل المصادفة حقًا يا (طارق) .

خفض (طارق) عينيه ، دون أن يجيب ، فنقل (أكرم) بصره بينهما فى عصبية ، قبل أن يهتف :

ـ (نور) .. أخبرنى ما الذى تعنيه بالضبط بقولك هذا ؟! لا تقل لى : إن (طارق) قد خدعنا مرة أخرى .

لم يحاول (طارق) التعليق على العبارة ، وهو يشيح بوجهه ، فى حين قال (نور) ، فى صرامة غاضبة :

ـ كل ما يمكننى قوله الآن ، هو أن صديقنا (طارق) لم يأت من حضارة سابقة ، كما نجح فى إقناعنا جميعًا ، وإنما أتى من المستقبل .. مستقبل التاريخ الذى نعرفه .

فغر (أكرم) فاه مشدوها ، وحدّق فى (طارق) بضع لحظات ، قبل أن يهتف محنقًا :

ـ أهذا صحيح ؟! أهذا صحيح يا (طارق) ؟! أخبرنى بالله عليك .

تنهّد (طارق) فى حرارة ، مغمغمًا :

ـ نعم .. هذا صحيح يا (أكرم) .

احتقن وجه (أكرم) فى شدة ، وهو يهتف :

ـ أيها الـ ... الـ ...

ارتج عليه ، فلم يستطع إكمال عبارته ، التى اختنقت فى حلقه ، حتى غصَّ بها ، فسعل مرتين على الأقل ، قبل أن يهتف :

ـ ولكن لماذا ؟! لماذا ؟!

لم ينبس (طارق) ببنت شفة ، فى حين قال (نور) :

ـ سأخبرك أنا لماذا يا (أكرم) .. صديقنا (طارق) ينتمى لجهة أمنية منظَّمة ، فى المستقبل ، وعندما حملته مقاتلة الزمن إلى عصرنا ، كانت لديه مهمة محدودة للقيام بها ، وكأى عميل فى مهمة سرية ، كانت هناك قصة بديلة ، يمكنه طرحها ، فى حالة كشف أمره ، حتى يُبعد الأذهان عن مهمته الحقيقية .. إنه إجراء أمنى معروف ، منذ زمن طويل(★) ..

(★) حقيقة ، ففى كل عمليات الجاسوسية ، يكون لدى الجاسوس ما يعرف باسم (الاعتراف البديل) ، وهو عبارة عن قصة محبوكة ، تتفق تمامًا مع كل ما تم كشفه عنه ، وقادرة على إقناع مستجوبيه ، على ألا يُدلى بها إلا بعد تعرُّضه لضغوط شديدة ، بحيث تبدو وكأنها اعتراف حقيقى ، لإبعاد النظر عن هدف مهمته الحقيقى ، ومنح زميل له الفرصة لإتمام المهمة .

هتف (أكرم) :

ـ قصة بديلة ؟! ولكن لماذا لجأ إلى قصة معقَّدة كهذه ؟! المفترض أن تكون تلك القصة البديلة قابلة للتصديق !

أجابه (نور) :

ـ هذا صحيح ، فى الظروف العادية يا (أكرم) ، ولكن (طارق) كان يواجه فريقًا علميًّا خاصًّا ، لذا فقد كان من الضرورى أن تكون قصته البديلة مثيرة ، وغير تقليدية ، حتى تجذب انتباههم ، ويمكنهم تصديقها .

ثم التفت إلى (طارق) ، مكملاً فى غضب :

ـ باختصار ، كل ما أخبرنا به (طارق) كذب فى كذب .

اعتدل (طارق) ، قائلاً فى حرارة .

ـ لا .. ليس كله أيها القائد .

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ لا تحاول مرة أخرى يا (طارق) ، أو أيًا كان اسمك ، فقد كشف (هولدشتاين) أمرك ، عندما تعرَّف العقار الذى تم حقنك به ، قبل رحلتك الزمنية ،

وأدرك اسمه أيضًا ، مما يؤكِّد أنك قادم من المستقبل ، وليس من الماضى السحيق كما ادعيت .

قال (طارق) :

- هذا صحيح أيها القائد .. أعترف أننى أتيت من مستقبلكم ، ولكن هذا لا يعنى أن قصتى كلها كاذبة .

سأله (نور) فى حدة :

- ما الجزء الصحيح منها إذن ؟!

انفرجت شفتا (طارق) ، وكأنه يهمّ بقول شىء ما ، إلا أنه لم يلبث أن أطبق شفتيه بغتة ، وتلفَّت حولـه ، قبل أن يقول :

- لست أعتقد أن الوقت والمكان يناسبان هذا .

صمت (نور) لحظة ، قبل أن يغمغم :

- أنت على حق .

وفى صوت خافت ، تمتم (أكرم) .

- فهمت .

ثم استدرك فى حدة مباغتة :

- ولكن هذا لا يمنـع أنه وضعنا ، على الرغم منا ، فى هذا الموقف العصيب .

تنهَّد (طارق) ، قائلاً :

- إننى أعتذر .

هتف (أكرم) فى حنق :

- تعتذر ؟! عظيم .. رائع .. أعدك أن أوصى بكتابة اعتذارك الأنيق هذا على قبرى .

قال (طارق) :

- ربما لا تصل الأمور إلى هذا الحد .

سأله فى عصبية :

- كيف أيها العبقرى ؟! هل تعتقد أن الرحمة ستجد طريقها خطأً ، إلى قلب عدوّنا الرقيق (هولدشتاين) ، فيأمر بالإفراج عنا جميعًا .

هزَّ (طارق) رأسه فى حزم ، قائلاً :

- لا يمكننى الاعتماد على هذا قط .

ثم أضاف فى صرامة :

- ولكننى لن أسمح له بإيذاء (برجيت) .

ارتفع حاجبا (نور) فى دهشة ، وهو يقول :

- (برجيت) فقط .

التفت إليه (طارق) ، مجيبًا :

- سأقاتل لإنقاذ الجميع ، ولكنها وحدها تعنينى الآن .

لم يدر (نور) لماذا بدا لـه (طـارق) ، فى تلك اللحظة ، شبيهًا به نفسه ، منذ عدة سنوات مضت ؟!

شىء ما فى صوته ، أو ملامحه ..
أو ربما فى أسلوبه ..
شىء ما ، ذكره بنفسه ، وجعله يقول :
- (طارق) .. إلى أى زمن تنتمى ؟!
صمت (طارق) لحظة ، وهو يتطلع إليه فى عمق عجيب ، قبل أن يجيب فى رصانة :
- كلنا الآن ننتمى إلى زمن الدم هذا أيها القائد ، وعلينا أن نقاتل بكل قوانا ، للعودة منه إلى زمننا .
هتف (أكرم) :
- نقاتل .. نقاتل .. لقد سئمت ترديد هذه الكلمة ، ونحن مقيدون بالأغلال المعدنية على هذا النحو يا رجل .
التفت إليه (طارق) ، قائلاً :
- ولكن (هولدشتاين) لم يترك رجال حراسة هذه المرة !
انعقد حاجبا (نور) ، وهو يغمغم فى حذر :
- هذا صحيح .. لقد خشى أن نسيطر عليهم ، كما فعلنا فى المرة السابقة .
قال (أكرم) فى توتر :

- وما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!
غمغم (طارق) فى حزم :
- الكثير .
ثم راح يثنى جسده فى مرونة ، مستطردًا :
- لقد أمر (هولدشتاين) رجاله بتفتيشنا جيدًا ، ليتأكد من أننا لا نخفى أية أسلحة ، ولكن المشكلة أن كلمة أسلحة هذه تختلف كثيرًا ، من عصر إلى آخر .
بدت الحيرة على وجه (أكرم) ، وهو يتساءل عما يعنيه (طارق) ، فى حين بدا الاهتمام فى وجه (نور) وصوته ، وهو يسأل (طارق) :
- ما الذى تخفيه هذه المرة ؟!
أجابه وهو يدير رأسه إلى اليمين فى صعوبة ، محاولاً التطلع إلى قيود (نور) مباشرة :
- قاذف ليزرى دقيق .
هتف (أكرم) فى دهشة :
- رباه ! وأين يمكن أن تخفى شيئًا كهذا ؟!
انفرجت شفتا (طارق) ، وهو يغمغم :
- سل طبيب أسنانى .
قالها ، وضغط أسنانه الأمامية بعضها ببعض ، وهو يستطرد :

- أبعد رأسك إلى اليمين بقدر الإمكان أيها القائد .
أبعد (نور) رأسه ، مغمغمًا :
- يبدو أن مفاجآتك لا تنتهى أبدًا يا (طارق) .
ومع آخر حروف كلماته ، انبعث خيط دقيق من أشعة الليزر ، من بين أسنان (طارق) ، وأصاب الجدار ، على بعد سنتيمتر واحد من أغلال (نور) المعدنية ، فهتف فى خفوت :
- احترس .
أمال (طارق) رأسه قليلاً ، فانحرف خيط الليزر ، وراح يشقَ الأغلال المعدنية فى بطء ، والثلاثة يحبسون أنفاسهم ، خشية أن يحضر (هولدشتاين) ، أو أحد رجاله ، قبل أن ينتهوا من عملهم ، وتمتم (أكرم) :
- رباه ! لم أشعر بمثل هذا التوتر فى حياتى قط ؟!
أجابه (نور) مبتسمًا فى عصبية :
- أعتقد أننى سمعت العبارة نفسها ، أكثر من خمس مرات من قبل .
واصل (طارق) عمله فى تماسك ، والعرق البارد يتصبَّب على جبينه فى غزارة ، حتى انقسمت أغلال

معصم (نور) الأيسر بصوت خافت مكتوم ، فحررَ يده منها ، قائلاً :
- رائع .. إنه يستغرق بعض الوقت ، ولكن النتيجة مدهشة .
حاول (طارق) أن يبتسم فى إرهاق ، وهو يقول :
- عظيم .. التقط قاذف الليزر من بين أسنانى إذن ، وحررَ معصمك الأيمن أيضًا .
كان ذلك القاذف الليزرى دقيقًا للغاية ، يختفى أسفل لسان (طارق) ، وتطلَ فوهته من بين سنتيه الأماميتين ، على نحو غير ملحوظ على الإطلاق ، فالتقطه (نور) بطرف سبَّابته وإبهامه ، وتأمَّله لحظة ، قائلاً :
- من الواضح أن التقدُّم التقنى قد بلغ حدًّا مدهشًا فى المستقبل .
تمتم (طارق) :
- هذا أمر طبيعى .
أما (أكرم) ، فقال فى عصبية :
- ماذا لو حرَّرت معصمك الأيمن أولاً ، ثم ناقشنا روعة المستقبل فى محاضرة أخرى ؟!



استغرق الأمر ثلاث دقائق كاملة ؛ قبل أن يحرِّر (نور) معصمه الأيمن ، ثم يلتفت إلى (طارق) ، قائلاً : ـ دورك ياصديقى ! ..

ابتسم (نور) فى توتر ، مغمغماً :

ـ بالتأكيد .

استغرق الأمر ثلاث دقائق كاملة ، قبل أن يحررُ (نور) معصمه الأيمن ، ثم يلتفت إلى (طارق) ، قائلاً :

ـ دورك يا صديقى .

غمغم (أكرم) :

ـ عظيم .. هذا يعنى أننى سأفوز بالمركز الأخير كالمعتاد .

لم يعلِّق أحدهما على عبارته ، و (نور) يستخدم خيط الليزر الرفيع ، لشقَ أغلال (طارق) ، الذى لاذ بالصمت التام ، حتى حرَّر (نور) معصمه الأيمن ، ثم التفت إلى الأيسر ، و ....

« يا للشيطان ! ماذا تفعلون ؟! »

انطلقت الصيحة فجأة ، من خلف (نور) ، وهتف (أكرم) ، و(نور) يلتفت إلى مصدر الصيحة بأقصى سرعته :

ـ كنت أعلم أن هذا أجمل من أن يتحقَّق .

فعند مدخل الزنزانة ، وأمامهم مباشرة ، كان يقف

حارسان ألمانيان ، وكل منهما يرفع فوهة مدفعه الآلى نحوهم ، فى انفعال شديد ..

وكان هذا يعنى أن محاولة الفرار قد فشلت .. تمامًا ..

★ ★ ★

حفر الإرهاق ملامحه فى وضوح ، على وجه (مشيرة محفوظ) ، رئيسة الجريدة المرئية (أنباء الفيديو) ، وهى مستغرقة بكيانها كله ، أمام شاشة الكمبيوتر ، داخل مكتبها الخاص ، فى مبنى الجريدة ..

وفى إشفاق واضح ، غمغم مساعدها :

- سيِّدتى .. أنت بحاجة لبعض النوم .. لقد قضيت أكثر من عشر ساعات متصلة ، أمام شبكة المعلومات الرئيسية ، وأكثر من عشرين ساعة من البحث ، فى كل المكتبات ودور الوثائق المعروفة .

لوَّحت بكفها فى عصبية ، قائلة :

- لا وقت للنوم .

سألها فى حيرة :

- لماذا يا سيِّدى ؟! حسبما أعلم ، لا توجد أية أنباء عاجلة ، منذ فترة طويلة .

فركت عينيها فى إرهاق ، محاولة دفعهما لمزيد من التطلُّع والمتابعة ، والتقطت نفسًا أقرب إلى اللهاث ، وهى تغمغم :

- إنه أمر يتعلَّق بزوجى .

هتف مبهوتًا :

- السيِّد (أكرم) .

ثم تلفَّت حوله بحركة غريزية ، قبل أن يسألها فى حذر وخفوت :

- أهو أمر يتعلَّق بعمله فى الـ ...

قاطعته فى صرامة :

- نعم .. هو كذلك .

تراجع بحركة حادة ، كمن تلقَّى صفعة قوية ، وازدرد لعابه فى توتر ، متمتمًا :

- إنه أمر جلل إذن .

وعاد يتلفَّت حوله ، سائلاً فى همس :

- أيمكننى المعاونة ؟!

تراجعت فى مقعدها ، وأدارت عينيها إليه فى توتر صامت لبعض الوقت ، قبل أن تقول فى أسى مرير :

- لقد فعلت كل ما يمكن فعله .

جذب مقعدًا ، وهو يقول فى شىء من الحماس :

- ربما كان لدى جديد .

هزَّت رأسها فى مرارة ، مغمغمة :

- وما الذى يمكنك فعله ؟

أشار بسبَّابته ، مجيبًا فى حماس :

- ربما أمكننى أن أفعل الكثير ..

استدارت إليه فى لهفة قلقة ، فتابع :

- فقط أخبرينى ما الذى تبحثين عنه .

صمتت بضع لحظات ، وهى تتطلَّع إليه ، وكأنما تتساءل فى أعماقها ، عما إذا كان من الصواب أن تخبره بما لديها أم لا ، إلا أنها لم تلبث أن اعتدلت فى مقعدها ، على نحو يوحى بأنها قد حسمت أمرها ، وهى تقول :

- لدى وثيقة قديمة هنا ، من عهد الحرب العالمية الثانية ، تحمل حكمًا بإعدام ثلاثة من الجواسيس ، فى (باريس) المحتلَّة ، مع توقيع الجنرال (فريدريش هولدشتاين) ، قائد مخابرات النازى فى (أوروبا) ، فى ذلك الحين ، ولكننى أريد معرفة ما تم بشأن ذلك الحكم .

بدت الدهشة على وجه مساعدها ، وهو يقول :

- حكم بالإعدام ، فى زمن (ألمانيا) النازية ؟! وما علاقة أمر قديم كهذا بزوجك يا سيِّدتى .

أجابته فى عصبية شديدة :

- لا أسئلة يا رجل .. هل يمكنك المعاونة أم لا ؟

تطلَّع الرجل إليها لحظة ، أدرك خلالها كم تعانى ، ثم قال فى حسم :

- بالتأكيد .

قالت متوترة :

- لقد بحثت فى كل الأماكن الممكنة ، على شبكة (الأنترنت) .. كل المواضع الخاصة بالحرب العالمية الثانية ، والتاريخ ، والوثائق الخاصة ، وحتى المواضع ذات الطابع الحربى أو العسكرى .

اتجهت أصابعه إلى أزرار الكمبيوتر ، متسائلاً :

- وماذا عن الأبحاث والدراسات النفسية ؟!

بدت عليها الدهشة ، وهى تسأله :

- الأبحاث والدراسات النفسية ؟! وبم يمكن أن تفيدنا تلك المواضع ؟!

أجابها ، وهو يضرب أزرار الكمبيوتر فى سرعة :

- إنه موضع واحد ، يختص بدراسة وتحليل كل الشخصيات التاريخية المعروفة ، وغير المعروفة ، لمعرفة الأسباب التى جعلت منهم علامات بارزة ، سواء أكانت خيِّرة أم شريرة .

ثم سألها فى اهتمام :

- ما اسم ذلك الجنرال النازى ؟!

أجابته فى لهفة :

- (فريدريش هولدشتاين) ..

عقد حاجبيه ، وهو يغمغم فى دهشة :

- (فريدريش هولدشتاين) .. عجبًا ! إننى من المهتمين بتاريخ الحرب العالمية الثانية ، وعلى الرغم من هذا ، فالاسم يبدو لى عجيبًا .

قالها ، ثم هتف فجأة :

- وعلى أية حال ، ها هو ذا .

بدا عليها مزيج من الاهتمام البالغ ، والتوتر الشديد ، وهى تتطلع إلى الشاشة ، التى حملت صورة (هولدشتاين) ، وإلى جوارها كل البيانات الخاصة به ، والتى راح مساعدها يطالعها فى اهتمام مماثل ، قبل أن يقول :

- يا إلهى ! لقد كان هذا الرجل شيطانًا حقيقيًا .. تاريخه كله مغموس فى دماء مئات الأبرياء ، الذين أعدمهم ، دون شفقة أو رحمة ، لمجرد الاشتباه .

هتفت به :

والوثيقة يا رجل .. الوثيقة .

أخبرته كل البيانات الخاصة بحكم الإعدام ، ويداه تتحركان فى سرعة ، لتغذية الكمبيوتر بكل المعلومات ، ثم قال :

- ها هى ذى .

ارتجف جسدها فى عنف ، وهى تحدِّق فى الوثيقة على الشاشة ، فى حين عادت أصابع مساعدها تعمل ، وهو يغمغم :

- والآن علينا أن نعرف ما إذا كان الحكم قد انتقل إلى مرحلة التنفيذ ، أم ...

لم يكن قد أتمَّ عبارته بعد ، عندما ظهرت النتيجة على الشاشة ، فاتسعت عينا (مشيرة) عن آخرهما ، وصرخت :

- لا .. لا .. مستحيل !

فعلى الشاشة ، وبخط واضح للغاية ، كانت هناك عبارة تؤكِّد أن حكم الإعدام قد تم تنفيذه فى الجواسيس الثلاثة ..

عند الفجر .

★ ★ ★



٨ - الفجر ..

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) فى دهشة ، وهو يستمع إلى (رمزى) ، داخل حجرة مكتبه الخاصة ، إلا أنه لم يحاول مقاطعته بكلمة واحدة ، حتى انتهى من حديثه ، فنهض الدكتور (ناظم) من خلف مكتبه ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يقطع أرجاءُ الحجرة فى صمت ، ثم لم يلبث أن التفت إلى (رمزى) قائلاً :

- إذن فأنت لا تشعر بالارتياح ، تجاه الدكتورة (إلهام) ، وتطالب بمنعها من دخول مقر قيادة الفريق مرة أخرى .

أجابه (رمزى) فى حزم مقتضب :

- بالضبط .

هزَّ الدكتور (ناظم) رأسه فى حيرة متوترة ، قائلاً :

- ولكن الدكتورة (إلهام) هى خبيرة التفاعلات الحيوية الوحيدة فى الإدارة ، وهى الأفضل فى هذا

المضمار ، بشهادة كل العاملين فيه ، كما أنها محل ثقة الجميع ، وتقاريرها كلها ممتازة ، منذ التحقت بالعمل هنا .

أشار (رمزى) بسبَّابته ، وهو يقول :

- بمناسبة الحديث عن التقارير ، إننى أرغب بشدة ، فى مراجعة التقرير النفسى الخاص بها .

تطلَّع إليه الدكتور (ناظم) مرة أخرى فى دهشة ، ثم اتجه مرة أخرى إلى مكتبه ، وجلس خلفه ، وشبَّك أصابع كفيه أمام وجهه ، قائلاً :

- ولكن ماذا لو احتاج الأمر لوجودها معكم ؟!

هزَّ (رمزى) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- لقد استشرت (سلوى) و(نشوى) فى هذا الأمر ، واتفق رأينا جميعًا على أن هذا لن يكون ضروريًا قط .. يمكننا أن نرسل إليها النتائج أولاً فأولاً ، دون أن تحتاج للقدوم إلينا .

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه متفهمًا ، وغمغم :

- عجبًا !

ثم اعتدل مستطردًا فى لهجة حازمة :

- فليكن يا (رمزى) .. على الرغم من اعتراضى

على موقفكم هذا ، وثقتى الشديدة بالدكتورة (إلهام) ، بعد أن راجعت ملفها كله بنفسى ، فسأوافق على مطلبك هذا .

غمغم (رمزى) فى ارتياح :

- عظيم .

لوَّح الدكتور (ناظم) بيده ، على نحو لا يعنى شيئًا محدودًا ، قبل أن يميل نحوه ، قائلاً :

- هل يكفيكم هذا ، أم أن هناك مطالب أخرى ؟!

أجابه (رمزى) فى سرعة ، وكأنه ينتظر هذا السؤال بالتحديد :

- أريد مراجعة كل ما يخص (طارق) ثانية .

تضاعفت دهشة الدكتور (ناظم) هذه المرة ، وبدت واضحة أشدَّ الوضوح ، فى ملامحه وصوته ، وهو يهتف :

- كل ما يخصّه ؟!

قال (رمزى) فى حزم :

- نعم يا دكتور (ناظم) .. كل ما يخصّه بلا استثناء .. ملفه ، تقاريره السرية ، فى أثناء عمله فى مؤسسة الرياسة ، وبعد التحاقه بالعمل فى إدارة

البحث العلمى ، وحتى فى أثناء عمله معنا .. تقاريره الطبية ، والنفسية ، والرياضية .. ثم إننا سنعيد فحص منزله ثانية .

قال الدكتور (ناظم) :

ـ ولكننا فحصنا كل هذا مرتين على الأقل يا (رمزى) .

أجابه بنفس الحزم :

ـ هذا صحيح ، ولكننى كنت أفحص كل شىء ، مؤمنًا بأن (طارق) صادق فى كل ما قاله ، أما الآن ، فأحتاج إلى إعادة الفحص ، بعد أن تيقَّنت من أنه قد نجح فى خداعنا جميعًا .

هتف الدكتور (ناظم) :

ـ خداعكم وحدكم .. أنا لم أثق به قط .

لوَّح (رمزى) بيده ، قائلاً :

ـ فليكن .. المهم أننى واثق تمامًا ، من أن التوصُّل إلى الفارس الثانى ، يستلزم إعادة فحص ودراسة كل ما يتعلَّق بالفارس الأوَّل .. (طارق) .

صمت الدكتور (ناظم) بضع لحظات ، وهو يفكِّر فى عمق ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ فليكن يا (رمزى) .. راجعوا كل ما يتعلَّق بـ (طارق) ، ولكن بشرط واحد .

سأله (رمزى) فى حذر :

ـ وما هو ؟!

دقَّ سطح مكتبه بقبضته ، وهو يقول فى صرامة :

ـ أن نحصل فى النهاية على أجوبة .. أجوبة شافية ، تزيح الضباب عن كل هذا الغموض .

تطلَّع إليه (رمزى) لحظة ، بعينين لا تحملان أية تعبيرات على الإطلاق ، ثم قال فى بطء :

ـ سنبذل قصارى جهدنا .

ولم يرق هذا الجواب للدكتور (ناظم) ..

لم يرق له أبدًا ..

★ ★ ★

كان الموقف شديد الدقة والصعوبة بالفعل ، فى تلك الزنزانة ، أسفل بيت الثعالب ، فى (باريس) المحتلَّة ، إبان الحرب العالمية الثانية ..

(نور) وحده مطلق السراح ، أعزل ، فى مواجهة اثنين من جنود النازية ، يحملان مدفعين آليين قويين ، بمقاييس ذلك العصر ، ويتحفزان لسحقه سحقًا ..

ولكن ، فى مثل هذه المواقف الدقيقة ، ينطلق شىء ما ، من أعماق الرجال ..

الأطباء يؤكدون أنها مادة (الأدرينالين) ، ذلك الهرمون ، الذى تنتجه الغدة الكظرية ، والذى يزداد إفرازه فى مجرى الدم ، مع التوتر والانفعال ، فتتضاعف معه دقات القلب ، وسرعة جريان الدم فى العروق ، وتتلاحق الأنفاس ، وتبلغ سرعة الاستجابة حدًّا مدهشًا ، يجعل المرء قادرًا على إتيان ما يعجز عنه ، فى الظروف العادية(*) ..

أما نحن ، فنؤمن بأنها الإرادة ..

غريزة البقاء ، التى يخفق بها قلب كل كائن حى ، والتى تنطلق من أعمق أعماقه ، عند الشعور بالخطر ، ليحافظ على بقائه ، وينقذ وجوده ..

وأيًّا كانت الحقيقة ، ومهما كان التفسير ، فقد تفجَّرت قوة هائلة فى عروق (نور) ، فور رؤيته الجنديين ، ووثب وثبة مدهشة ، مباغتة ، قوية ، جعلته يبلغ الرجلين ، ويركل المدفع الآلى من يد أوَّلهم ، ثم يدور حول نفسه فى خفة مدهشة ، ويركل الثانى

(*) حقيقة طبية .

فى أنفه مباشرة ، قبل أن تضغط سبَّابته زناد مدفعه .

وكانت الركلة قوية بالفعل ..

لقد انتزعت الجندى الثانى من مكانه ، ودفعته مترين كاملين إلى الخلف ، ليرتطم بقضبان الزنزانة فى عنف شديد ، كما لو أن سرعته كانت تكفى ، ليندفع ثلاثة أمتار أخرى على الأقل ..

وعندما ارتدَّ إلى الأمام ، بعد ارتطامه بالجدار ، استقبلته قبضتا (نور) ، فى أنفه وفكه ، بلكمتين متعاقبتين قويتين ، سقط بعدهما ليرتطم بالأرض فى عنف ..

ولكن الجندى الأوَّل صرخ غاضبًا ، وهو يثب نحو (نور) كالنمر الشرس ، ويحيط عنقه بذراعه القوية ..

وبمبادرة سريعة مدهشة ، انحنى (نور) إلى الأمام ، انحناءة مباغتة حادة ، اختلَّ معها توازن الجندى ، فوجد نفسه يطير فى الهواء ، ثم يرتطم بالجدار ، ويسقط أرضًا فى قوة ..

وفى انبهار وإعجاب ، هتف (أكرم) :

- ربَّاه ! أنت مقاتل رائع يا (نور) .

ولكن الجندى الألمانى قفز واقفًا على قدميه ، فى

سرعة مدهشة ، وكأن تلك الضربات العنيفة لم تترك أدنى أثر فى جسده ، واستلّ مسدسه الاحتياطى من غمده ، هاتفا :

ـ لن تخرج من هنا حيًا أيها الجاسوس .

كان تحركه سريعًا للغاية ، حتى إن (نور) لم يكن قد استعاد توازنه بعد ..

ولكن (أكرم) تعلّق بأغلال معصميه ، المثبتة إلى الجدار ، وقفز ليركل الجندى بقدميه فى ظهره ركلة قوية ، هاتفًا :

ـ هل تراهن أيها الوغد ؟!

دفعت الركلة الجندى إلى الأمام فى عنف ، فاستقبله (طارق) بلكمة كالقنبلة ، قائلاً :

ـ خسرت' .

سقط الجندى الثانى فاقد الوعى بدوره ، فهتف (أكرم) :

ـ أسرع يا (نور) .. أسرع باللّه عليك .. حطم أغلالنا ، قبل أن تجذب الجلبة المزيد من هؤلاء الأوغاد إلى هنا .. استخدم قاذف الليزر بسرعة .

ولكن (نور) دسّ القاذف الليزرى الصغير فى جيبه ، وهو يقول فى حزم :

ـ سيستغرق هذا وقتًا طويلاً للغاية .

ثم انتزع سترته ، وكوّرها فى قبضته ، والتقط أحد المدفعين الآليين ، مستطردًا :

ـ هناك وسيلة أكثر سرعة .

اتسعت عينا (أكرم) ، وهو يقول :

ـ ربّاه ! هل ستستخدم المدفع ؟! هذا سيوقظ كل الماتى ، على مسافة عشرة كيلومترات يا (نور) .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ اطمئن .

قالها ، وألصق سترته المكوّرة بأغلال معصم (طارق) الأيسر ، ثم رفع فيها فوهة المدفع الآلى ، وأطلق النار ..

وانتفض جسد (أكرم) ، مع ذلك الصوت الخافت المكتوم ، الذى انطلق من المدفع ، عندما اخترقت رصاصته أغلال (طارق) ، وحطمتها ..

وعندما انتقل إليه (نور) ، وجد نفسه يهتف مبهورًا :

ـ مازلت تصرّ على إبهارى دائمًا يا (نور) .. لقد اخترعت كاتمًا بسيطًا للصوت .

غمغم (نور) ، وهو يطلق رصاص المدفع ، على أغلال معصميه :

- إنه ليس اختراعًا حديثًا .. مجرَّد فكرة شاهدتها فى عشرات الأفلام السينمائية القديمة .

ربَّت (طارق) على كتفه ، وهو ينحنى لالتقاط المدفع الآخر ، قائلاً :

- المهم أن تجيد استخدام ما تتعلَّمه .

ومع آخر حروف عبارته ، تحرَّر (أكرم) أيضًا من أغلاله ، فوثب يلتقط مسدس الجندى ، هاتفًا فى صرامة :

- فى هذه المرة لن أسمح لهم بأخذى حيًّا ، سأقاتل بكل ما أملك من قوة ، من أجل حريتى .

أشار (طارق) إلى رأسه ، قائلاً :

- فى موقف كهذا ، الأفضل أن تقاتل بكل ما تمتلك من عقل وذكاء .

صاح به (أكرم) فى حنق :

- ماذا تعنى يا (طارق) ؟ هه .. ماذا تعنى ؟!

أشار إليه (نور) فى صرامة ، وهو يقول :

- (طارق) على حق تمامًا .. إنهم يفوقوننا عددًا

وعدَة ، والمواجهة المباشرة تعنى هزيمتنا حتمًا ، إذن فالوسيلة الوحيدة هى أن نلجأ إلى التحايل والخداع .

سأله (أكرم) :

- كيف يا (نور) ؟!

تلفَّت (نور) حوله ، وهو يهمس :

- عندى خطة بسيطة .. بسيطة للغاية ..

فى نفس اللحظة ، التى همس فيها بعبارته ، كان (كارل مانهايم) يدق باب حجرة الجنرال (هولدشتاين) فى حذر ، ثم يقف مشدود القامة ، فى حين هتف (هولدشتاين) من الداخل فى حدة :

- من بالباب ؟!

تنحنح (كارل) ، قائلاً :

- إننى (كارل) يا جنرال .

أتاه صوت (هولدشتاين) من الداخل ، يهتف :

- انتظر قليلاً .

احتقن وجه (كارل) فى حنق ، وضمَّ شفتيه فى غضب ، وهو يحافظ على وقفته الصارمة ، لنصف دقيقة كاملة ، قبل أن يقول (هولدشتاين) بلهجة صارمة :

- ادخل .

دفع (كارل) الباب ، ودلف إلى الحجرة هاتفًا :

- هايل (هتلر) .

رمقه (هولدشتاين) بنظرة جانبية ، قائلاً :

- ماذا هناك ؟!

احتقن وجه (كارل) أكثر ، وهو يجيب :

- لقد أحضرت الفتاة ، طبقًا لأوامرك يا جنرال .

عقد (هولدشتاين) حاجبيه ، قائلاً :

- أية فتاة ؟

كاد (كارل) يقضم شفتيه غيظًا ، وهو يجيب بلهجة متوترة :

- فتاة المقاومة الفرنسية .

هتف الجنرال ، وكأنه قد استعاد ذاكرته على التو :

- آه .. (برجيت) .. دعها تأت يا رجل .

ضرب (كارل) كعبيه ببعضهما ، وهو يقول :

- أمرك يا جنرال .

غاب فى الخارج لحظات قليلة ، ثم عاد وهو يدفع (برجيت) أمامه ، وقد أحاط قيد فولاذى قصير

بمعصميها ، وتبعثر شعرها ، على نحو يوحى بما لقيته من سوء معاملة ، فاسترخى (هولدشتاين) فى مقعده ، ووضع إحدى ساقيه فوق الأخرى ، متطلعًا إليها بابتسامة متشفية ، قبل أن يشير إلى (كارل) ، قائلاً :

- حِل معصميها ، واتركنا وحدنا .

حدَّق (كارل) فيه بدهشة ، قائلاً :

- سيِّدى الجنرال .. إنها فتاة مقاومة ، و ...

قاطعه بصيحة هادرة :

- نفذ الأوامر يا (كارل) .

احتقن وجه الجزَّار بشدة هذه المرة ، وكأنما اكتظ بكل دماء ضحاياه دفعة واحدة ، وغمغم بصوت متحشرج مختنق :

- أمرك يا جنرال .

وحلَّ قيودها فى عصبية ، ثم أدَّى التحية العسكرية ، وغادر الحجرة فى توتَّر شديد ، ولم يكد يغلق الباب خلفه ، حتى أدار (هولدشتاين) عينيه إلى (برجيت) ، وتأمَّلها من قمة رأسها ، وحتى أخمص قدميها ، قبل أن يقول بابتسامة مخيفة :

ـ من الواضح أنك جميلة بحق .. ذلك المستقبلى محق فى أن يغرم بك إلى هذا الحد .

خفق قلبها بين ضلوعها فى قوة ، على الرغم من دقة الموقف ، وسألته بصوت متوتر :

ـ من تقصد ؟!

اتسعت ابتسامته المخيفة ، وهو ينهض ، قائلاً :

ـ أنت تعرفين من أقصده يا جميلتى .

تراجعت فى حذر ، وهى تقول فى عصبية :

ـ اسمع يا (هولدشتاين) .. لو أنك تتصوَّر أن ...

قاطعها فى سرعة :

ـ اسمعينى أنت يا جميلتى .. صديقك المستقبلى هذا لن يمكنه العناية بك بعد الآن ، ولكن هذا لن يمنعه من محاولة إنقاذك .

بدت الدهشة واضحة فى عينيها ، فتابع ، وهو يزداد اقترابًا منها :

ـ كلاَّ يا عزيزتى .. إنك لم تخطئى الفهم .. صديقك الولهان سيسعى بالفعل لإنقاذك ، وتحريرك من قبضتى .

ثم مال نحوها أكثر ، حتى التصقت بالحائط ، وهو يتابع :

ـ إنك تتساءلين ؟ كيف عرفت هذا ؟ أليس كذلك ؟!

أطلَّ مزيج من الخوف والتوتر من عينيها ، فتراجع مطلقًا ضحكة قوية ، جعلته يبدو أشبه بالشيطان ، وهو يقول :

ـ المشكلة الوحيدة ، التى تواجه أصدقاءك المستقبليين فى هذا العصر ، هى أنا يا جميلتى .. أنا (فريدريش هولدشتاين) ، الوحيد القادر على التصدِّى لهم ، وتدميرهم وقتما أشاء .. إنهم لا يدركون أننى ، وفى هذه المرة أيضًا ، سمحت لهم بالفرار ، وسمعت كل كلمة نطقوا بها فى زنزانتهم منذ قليل ، عبر جهاز اتصال دقيق ، زرعته فى جدران الزنزانة ، دون أن يدركوا هذا .

ارتجفت شفتاها فى توتر ، فتابع ، وهو يعود للاقتراب منها :

ـ لقد وضعوا خطة بسيطة ، تعتمد على قطع التيار الكهربى ، ثم الخروج من المدخل السرِّى ، واثنان منهم يرتديان زى الجنديين الألمانيين ، اللذين هزماهما فى الزنزانة ، وسيدورون حول المبنى ، ويحاولون إشعال بعض النيران ؛ لإرباك طاقم الحراسة ،

بحيث تتاح لهم الفرصة لتحرير رفاقك ، وتتاح لرفيقك المستقبلى الوسيم الفرصة للظهور أمامك بمظهر (طرزان)(*) ، وهو ينقذك من قبضة الألمان الأشرار .

ارتجفت شفتاها مرة أخرى ، وهى تقول :

ـ ما الذى تنوى أن تفعله يا (هولدشتاين) ؟!

أطلق ضحكة أخرى ، قائلا :

ـ سأتركهم يطلقون سراح الجميع يا جميلتى ، فيما عداك بالطبع .

اتسعت عيناها فى ذعر ، وهى تتمتم :

ـ لـ ... لماذا ؟!

لوَّح بكفه ، قائلاً :

ـ لأنك ورقتى الرابحة يا جميلتى .. صديقك المستقبلى يخفى سرًا بالغ الخطورة ، أريد التوصُّل إليه بأى ثمن ، وهناك وسيلتان فحسب للحصول على

(*) (طرزان) : شخصية روائية أسطورية ، ابتكرها (إدجار رايس باروز) ، وهى لشاب بريطانى ، تركه والداه بعد رحيلهما ، وسط غابات (إفريقيا) ، فتبنته القرود ، ونشأ بينها ، وصار أسطورة وسط الأدغال ، والشخصية عنصرية واضحة ، يبدو فيها التباين بين الرجل الأبيض المتحضِّر الذكى ، والمواطن الإفريقى الضعيف ، الذى يخضع للرجل الأبيض ، وكأن هذا الخضوع أمر طبيعى غريزى .

ذلك السر .. إما أن أجبره على البوح به ، أو أدفعه دفعًا إليه .

لم تفهم ما يرمى إليه ، فتابع وكأنه يتحدَّث مع نفسه :

ـ ستكون صدمة عنيفة لفارسك الوسيم ، عندما يكتشف اختفاءك ، بعد أن ينتهى من تحرير الأسرى ، ويدرك أنك مازلت فى قبضتى ، وسيبلغ توتره أقصاه ، عندما يعجز عن العثور علينا ، أنت وأنا ، على الرغم من كل ما سيفعله ، وهنا لن يكون أمامه سوى الاستعانة ببعض أسلحته المستقبلية المتطوِّرة ، وهذا يحتم الاتصال بالمقاتلة الزمنية ، التى حملته مع (نور) و(أكرم) إلى هنا .

ثم طرقع سبَّابته وإبهامه ، مستطردًا فى شراسة :

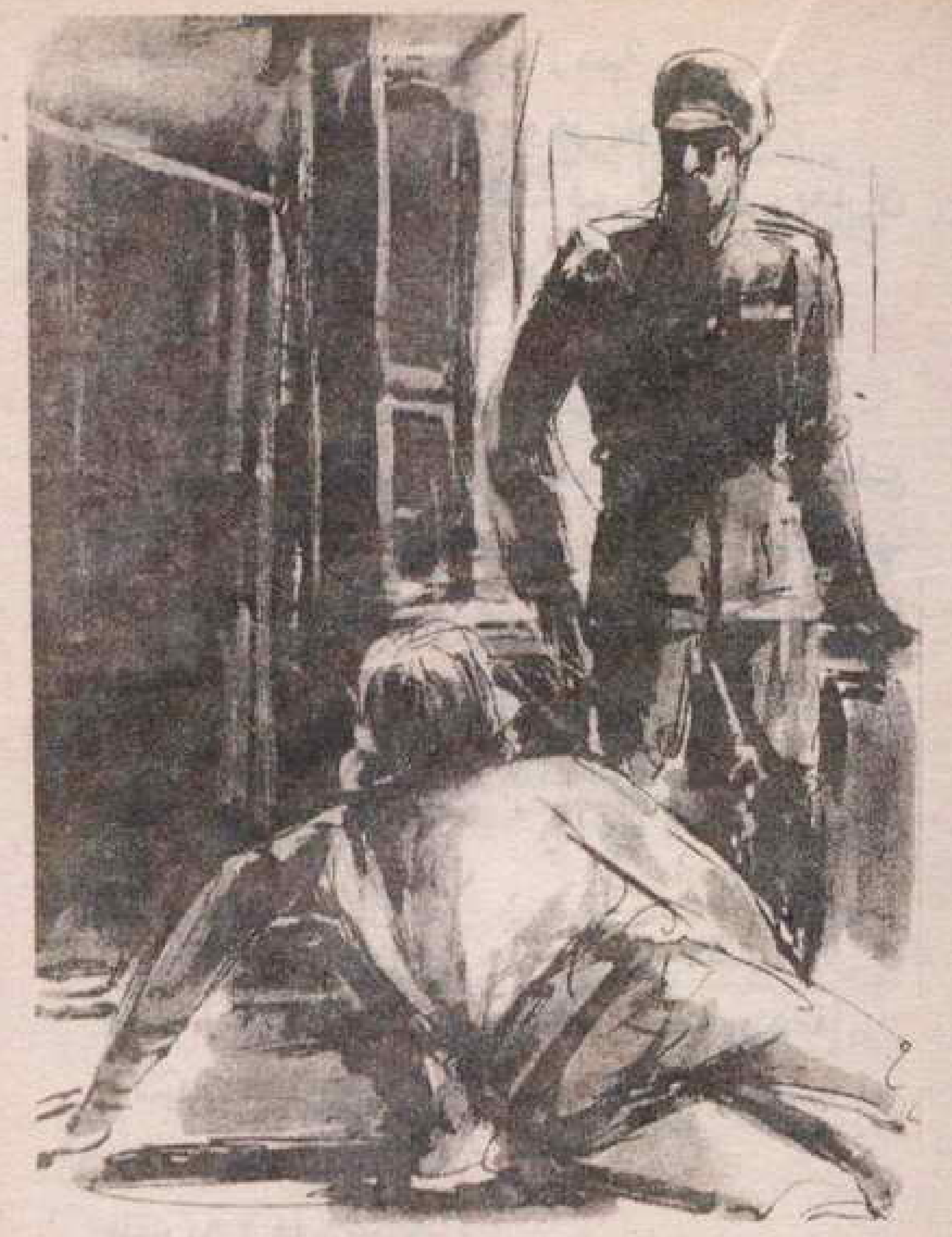
ـ وعندما يتمَّ هذا الاتصال ، أكون قد بلغت غايتى .

اتسعت عيناها فى ارتياع شديد ، وغمغمت فى انفعال جارف :

ـ إنك .. إنك .

ثم صرخت بغتة ، وهى تنقض عليه بكل قوتها :

ـ أيها الوغد .



تأوَّهت فى ألم شديد ، وهى تهتف مختنقة :
ـ كيف تضرب امرأة هكذا أيها الـ ؟ . .

تراجع فى خفة ، ومال جانبًا فى ليونة ، متفاديًا انقضاضتها ، ثم هوى على فكّها بلكمة كالقنبلة ، قائلاً فى قسوة :

ـ إياك أن تنطقيها ثانية .

صرخت فى ألم ، وهى تسقط أرضًا ، فركلها فى معدتها ، مستطردًا :

ـ فى المرة القادمة سأقتلك .

تأوَّهت فى ألم شديد ، وهى تهتف مختنقة :

ـ كيف تضرب امرأةً هكذا أيها الـ ...

ركلها فى فكها ، وهى ملقاة أرضًا ، قائلاً فى شراسة :

ـ قلت : إياك أن تنطقيها .

ثم انحنى يجذبها من شعرها فى قسوة ، ليجبرها على النهوض ، وصفعها على وجهها فى قوة ، مستطردًا :

ـ لست أظن فارسك الوسيم يرغب فى الاحتفاظ بامرأةٍ مشوَّهة .

كتمت (برجيت) دموعها فى صعوبة ، وهى تغمغم :

- أمثالك يستحقون القتل بلا رحمة .
قهقه ضاحكًا فى سخرية ، وهو يقول :
- أمثالى يبقون على القمة فى النهاية ، بعد أن تمتلئ الأرض بقبور الحمقى من أمثالكم .
قالت فى حدة :
- المثل يقول : من يضحك أخيرًا ، يضحك كـ ...
قبل أن تتمَ عبارتها ، دوى انفجار عنيف ، وانقطع التيار الكهربى كله دفعة واحدة ، فأمسكها (هولدشتاين) من ذراعها فى قوة ، وغرس أصابعه فى جلدها بقسوة ، وهو يقول :
- لقد بدءوا خطتهم .
ومع آخر حروف كلماته ، دوى انفجار آخر ، فهتف :
- يا للشيطان ! من أين حصلوا على القنابل ؟!
اقتحم (كارل) مكتبه ، فى هذه اللحظة ، هاتفًا :
- سيِّدى الجنرال .. الجواسيس الثلاثة نجحوا فى الفرار ، ونسفوا القبو كله .
هتف به (هولدشتاين) :
- من أين حصلوا على القنابل ؟!

صاح (كارل) :
- لست أدرى يا جنرال .. لا يوجد فى القبو سوى بعض المكاتب القديمة ، وأسطوانات الغاز ، و ...
قاطعه (هولدشتاين) فى توتر :
- أسطوانات الغاز ؟! آه .. فهمت !!
ثم استطرد فى صرامة :
- أرسل فريقًا من الرجال إلى المدخل السرى ، و ....
جاء دور (كارل) ليقاطعه هذه المرة ، هاتفًا :
- ولماذا المدخل السرى يا جنرال .. إنهم هنا .
اتسعت عينا (هولدشتاين) ، وهو يقول :
- هنا ؟!
ومع قوله ، دوَّى انفجار ثالث ، ارتجَ له المبنى كله ، وتردَّد بعده دوى الرصاصات داخل المكان ، وهتف (كارل) :
- إنه أمر واضح يا جنرال .. القتال كله يدور داخل المبنى .
انعقد حاجبا (هولدشتاين) فى شدة ، وهو يغمغم :
- ماذا ؟! هؤلاء الأوغاد !!

قهقهت (برجيت) ضاحكة ، وهى تقول فى شماتة :

ـ لقد خدعوك أيها العبقرى .. لقد أدركوا أنك تتنصَّت على أحاديثهم ، فخدعوك كالغرّ الساذج ، ودفعوك لاتخاذ كل الاحتياطات ، لصد هجوم من اليمين ، ثم ركلوا مؤخرتك من اليسار .. لقد ..

هوى على فكها بصفعة قوية ، هاتفًا فى غضب :

ـ اخرسى أيتها الحقيرة .

ثم التفت إلى (كارل) ، مستطردًا فى لهجة آمرة صارمة :

ـ مُر الرجال بعدم تبادل إطلاق النيران معهم على الإطلاق .

اتسعت عينا (كارل) عن آخرهما ، على الرغم من الظلام ، وهتف :

ـ سيِّدى الجنرال .. إنهم ...

قاطعه فى غضب هادر :

ـ لا تناقش يا (كارل) .. لا تحاول حتى أن تفكِّر .. نفذ الأوامر فحسب .

أخفى الظلام احتقان وجه (كارل) وهو يغمغم :

ـ كما تأمر يا جنرال .. كما تأمر .

واستدار ليغادر الحجرة ، ودوى الرصاصات ما زال يتردَّد فى المكان كله ، فهتفت (برجيت) فى انفعال :

ـ هذا لا ينفى خسارتك يا (هولدشتاين) .

انعقد حاجبا (هولدشتاين) فى شدة ، وهو يهتف :

ـ (كارل) .

التف (كارل) إلى مصدر الصوت ، محاولاً اختراق حجب الظلام ببصره ، فتابع (هولدشتاين) بنظرة آمرة قاسية صارمة :

ـ اقتلوا كل الأسرى .

شهقت (برجيت) ، هاتفة فى ارتياع :

ـ لا .. إلا هذا .

انغرست أصابع (هولدشتاين) فى ذراعها أكثر ، وهو يكمل :

ـ الآن يا (كارل) .. على الفور .

هتف (كارل) فى حماس ، وكأنما أسعده هذا الأمر :

ـ كما تأمر يا جنرال .. كما تأمر .

واندفع يتحسَّس طريقه ؛ لتنفيذ ذلك الأمر الدموى ، فى حين جذب (هولدشتاين) (برجيت) فى قسوة ، إلى حيث مكتبه الكبير ، وهى تهتف :

ـ لقد خسرت يا (هولدشتاين) .. خسرت ، على الرغم من كل ما تفعله .

قال فى صرامة :

ـ ليس بعد .

وانتبهت فجأة إلى أنه يسير بثقة واتزان ، على الرغم من الظلام الدامس ، فشهقت هاتفة :

ـ يا إلهى ! إنك .. إنك ترى فى الظلام .

أجابها فى قسوة :

ـ ليس هذا هو الأمر الخارق الوحيد ، الذى يمكننى فعله ، فعدستى العينين ، اللتين أرتديهما تصلحان لكل الظروف .

ثم انتزع شيئًا ما من مكتبه ، مستطردًا فى صرامة :

ـ وأنا أيضًا لدىّ أسلحة مستقبلية .

شعرت بشىء رخو ، يلتفّ حول وسطها ، فصرخت مذعورة :

ـ ما هذا ؟ ما الذى تفعله ؟!

لم تكد تتمّ صرختها ، حتى انطلقت فى جسدها شرارات كهربية عنيفة ، وتألّق المكان كله بضوء أزرق عجيب ، بدت معه ملامح (هولدشتاين) أشبه

بملامح شيطان رجيم ، انطلق من أعماق الجحيم .

وفى هذه المرة ، أطلقت (برجيت) صرخة هائلة .. صرخة ارتجّ لها كيانها كله ..

كيانها الذى بدا وكأنه يتفكّك إلى ألف قطعة وقطعة ..

وبمنتهى العنف .

★ ★ ★



٩ - لعبة الشيطان ..

استرخت الدكتورة (إلهام) فى مقعدها ، أمام شاشة كمبيوتر كبيرة ، داخل حجرة خاصة ، فى مبنى الأبحاث العلمية ، وهى تتطلع إلى أحد المشتبه فيهم الخمسة ، والذى يجلس داخل كابينة صغيرة ، شبيهة بتلك الخاصة بالمقاتلة الزمنية ، فى حين راحت المعدلات الحيوية للرجل تتراص فى انتظام على الشاشة ، والدكتور (ناظم) و (رمزى) يتابعانها فى صمت ولهفة ، حتى انتهت مرحلة الفحص ، فأدار الاثنان عيونهما إلى (إلهام) ، التى ظلت صامتة بدورها ، تراجع النتائج فى اهتمام ، قبل أن تغمغم :

- إنه الأخير .. أليس كذلك ؟!

أجابها الدكتور (ناظم) فى سرعة :

- بلى .. إنه كذلك .

أما (رمزى) ، فقد تطلع إليها فى اهتمام بالغ ، وكأنما يهتم بفحصها هى ، بأكثر مما يهتم بنتائج فحص المشتبه فيهم ، مما جعلها تبتسم ، قائلة :

- لم لا تسترخى فى مقعدك يا دكتور (رمزى) ؟

أجابها فى صرامة :

- أنا كذلك ؟!

أطلقت ضحكة قصيرة ، حملت لمحة من السخرية ، وهى تقول :

- حقًا ؟! هل انتهيت من فحصى ؟!

انعقد حاجباه فى توتر ، فتابعت بسخرية واضحة :

- ما رأيك الآن ؟! هل أبدو لك كحالة مثالية ، من حالات (البارانويا)(*)، أم أنها حالة (سكيزوفرانيا)(**) مركبة ؟!

شعر بالضيق ، من أسلوبها الساخر هذا ، وهم بقول شىء ما ، إلا أن الدكتور (ناظم) هتف فى عصبية :

(*) البارانويا : مصطلح طبى ، يطلق على مزيج من الشعور بالعظمة وعقدة الاضطهاد ، فالمصاب بذلك المرض النفسى يتصور أنه شخص جيد ، ولكن من حوله يرفضون الاعتراف بهذا ، مما يجعله شديد الحساسية تجاههم ، وربما ينتابه شعور بأن هناك من يحاول تحطيمه أو قتله .

(**) سكيزوفرانيا أو (شيزوفرانيا) : مصطلح طبى آخر ، خاص بعقدة نفسية ، يتصور المصاب بها أن هناك شخصًا آخر ، أو عدة أشخاص ، يصحبونه طوال الوقت ، ويناقشونه ، أو يختلفون معه فى عدة أمور ، يعانى من التوتر بشأنها فى عقله الباطن .

ـ دعونا من هذه المناقشات السخيفة الآن .. المهم أن نعرف مَنْ مِنْ هؤلاء الرجال الخمسة ، يمكن أن يكون الجاسوس الزمنى .

هزَّت (إلهام) رأسها ، قائلة :

ـ هناك اثنان منهم ، تتشابه تفاعلاتهم الحيوية إلى حد كبير ، مع المعدَّلات المطلوبة .

سألها فى لهفة :

ـ من هما ؟!

استدركت فى حزم :

ـ ولكنها لا تتطابق .

تراجع مبهوتًا ، وهو يسألها :

ـ ماذا تعنين ؟!

أشارت إلى الشاشة ، مجيبة :

ـ أعنى أنهم جميعًا أبرياء ، ولا يمكن أن يكون الجاسوس أحدهم .

انعقد حاجبا (رمزى) فى شدة ، فى حين لهث الدكتور (ناظم) ، من فرط الانفعال ، وهو يهتف بصوت مبحوح :

ـ ربَّاه ! ولكن كيف ؟!

هزَّت كتفيها ، قائلة فى استرخاء :

ـ هناك خطأ ما بالتأكيد .. ربما أخطأ فريق (نور) فى رصد وحساب المعادلات الحيوية الأوَّلية ، أو أخطأ الكمبيوتر فى انتخاب من تنطبق عليهم تلك التفاعلات ، أو ...

صمتت بضع لحظات ، على نحو جعل الدكتور (ناظم) يسألها فى لهفة :

ـ أو ماذا ؟!

بدا عليها التردُّد بضع لحظات أخرى ، قبل أن تلوِّح بيدها ، مجيبة :

ـ أو أن الأمر كله مجرَّد وهْم .

تراجع (رمزى) بحركة حادة ، فى حين هتف الدكتور (ناظم) :

ـ وهْم ؟! ماذا تعنين يا دكتورة (إلهام) ؟!

تردَّدت مرة أخرى ، قبل أن تلوِّح بكفها فى الهواء ، مجيبة :

ـ أعنى أنه من المحتمل ألا يكون هناك وجود لذلك الفارس الزمنى الثانى على الإطلاق .

كانت مفاجأة حقيقية للرجلين ، فتبادلا نظرة متوترة ، قبل أن يقول (رمزى) فى اهتمام شديد :

- هل يمكنك أن تشرحى لنا وجهة نظرك بوضوح أكثر ؟!

هزَت كتفيها ، مجيبة :

- بالتأكيد .

ثم اعتدلت فى مقعدها ، متابعة :

- لقد توصَلتم إلى ذلك الاستنتاج ، بناء على استخلاص التفاعلات الحيوية لـ (طارق) ، وخصمها من مجموع التفاعلات الحيوية ، التى سجَلتها مقاتلة الزمن ، ثم افترضتم أن ما تبقى هو عبارة عن التفاعلات الحيوية لفارس زمنى ثان ، كان يستقل المقاتلة نفسها .

غمغم (رمزى) فى اهتمام :

- بالضبط .

لوَحت بسبَابتها فى وجهه ، قائلة :

- وهنا يكمن الخطأ .

سألها الدكتور (ناظم) :

- أىَ خطأ ؟!

التفتت إليه ، مجيبة فى حماس :

- لقد تصوَرتم أن التفاعلات الحيوية لـ (طارق)

هذا ستظلّ على حالها طوال الوقت ، ولم يخطر ببال أحدكم أنه من المحتمل أن تتضاعف تلك التفاعلات مرتين على الأقل ، فى أثناء عبوره ثقوب الزمن .

ارتفع حاجبا (رمزى) فى دهشة ، وهو يقول :

- هذا لم يخطر ببالنا بالفعل .

ابتسمت ، قائلة :

- وهذا هو الفارق بينى وبينكم .

ثم مالت نحوه ، مستطردة :

- أنا خبيرة فى مجالى ، ويمكننى وضع كل الاحتمالات فيه .

التقت عيونهما لحظة ، شعر خلالها بالتوتر يسرى فى أعماقه ، قبل أن يسألها الدكتور (ناظم) فى توتر :

- وما احتمال صحة استنتاجك هذا ؟

التفتت إليه ، مجيبة :

- يزيد على الستين فى المائة ، فى الوقت الحالى .

ثم اعتدلت فى مقعدها مرة أخرى ، متابعة فى حسم واثق :

- لهذا افترض الكمبيوتر أن الفارس الثانى امرأة ، أو رجل ضئيل الحجم على الأقل ، لأن الزيادة الناجمة

من انفعالات عبور الثقوب الزمنية ، لم تكن تكفى لشخص قوى بالغ ، كما يفترض فى مقاتل فضائى ، أو فارس زمنى محترف .

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) ، وهو يعيد التفكير فى الأمر ، قبل أن يهزّ رأسه ، قائلاً :

- استنتاج معقول للغاية ، ويجيب عن معظم التساؤلات ، التى طرحها القائد الأعلى .

قال (رمزى) فى توتر :

- وماذا عن محاولة اختراق كمبيوتر الأمن ؟!

عاد حاجبا الدكتور (ناظم) ينعقدان فى عصبية ، ولكن الدكتورة (إلهام) أجابت فى سرعة :

- إنه أمر مختلف على الأرجح .. جاسوس أرضى آخر ، يحاول التسلل إلى النظام الأمنى لإدارة البحث العلمى ، باستخدام برنامج متطوّر .

هتف الدكتور (ناظم) ، ملوّحًا بسبّابته فى حماس :

- هذا بالضبط ما افترضه القائد الأعلى .

والتقط نفسًا عميقًا ، وهو ينهض مستطردًا :

- نعم .. إننى أميل كثيرًا لهذا الاستنتاج .

هتف (رمزى) فجأة :

- هراء .

التفت إليه الاثنان فى دهشة بالغة ، فتابع فى صرامة :

- ميلك أو عدم ميلك للأمر لا يعنى شيئًا .. إننا نواجه مشكلة عويصة ، والسبيل الوحيد لحسمها هو العثور على أدلة مادية قوية ، ولا شأن للمشاعر قط بهذا الأمر .

احتقن وجه الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

- (رمزى) .. إنك ...

قاطعه (رمزى) فى صرامة أشدّ :

- الأدلّة المادية يا دكتور (ناظم) .. الأدلة المادية فقط .

ازداد احتقان وجه الدكتور (ناظم) ، وبدا وكأنه سينفجر بعبارة ما ، ولكن الدكتورة (إلهام) تدخّلت فى سرعة ، قائلة :

- فليكن يا دكتور (رمزى) .. ستحصل على الدليل المادى .

التفت إليها ، قائلاً :

- بشأن ماذا ؟!

بدت الحيرة على وجهها ، فتابع فى صرامة :

- هل ستثبتين عدم وجود فارس زمنى آخر ، أم وجود جاسوس أرضى ، يحاول التسلُّل إلى نظامنا الأمنى ؟!

تجمَّدت ملامحها لحظة ، ثم لم تلبث أن لانت فى بطء ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة ، لم يدر معناها بالضبط ، وهى تجيب :

- البحث عن جاسوس أرضى ليس مهمتى ، ولكننى أستطيع إثبات عدم وجود فارس زمنى ثان .

ثم لوَّحت بسبابتها ، مستطردة :

- ولكننى أحذرك .. ذلك الدليل سينبع من هنا ، من خلال دراسة دقيقة لكل ما سجَّلته المقاتلة الزمنية ، من تفاعلات حيوية .

أجابها فى حزم :

- وهذا يكفينا .

نطقها ، وغادر المكان فى خطوات ثابتة قوية ، دون أن ينتظر رد فعل الدكتور (ناظم) ، الذى وقف مشدوهًا ،

وقد خالجه شعور بأن الأمور تزداد تعقيدًا أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

★ ★ ★

أطلق (أكرم) رصاصات مدفعه الآلى فى غزارة ، وهو يتحرَّك فى نشاط ، ويقفز من ساتر إلى آخر فى خفة وجرأة لا مثيل لهما .

كان من الواضح أن هذا الطراز من القتال يناسبه تمامًا ، وكأنما خلق ليحيا فى ذلك العصر ، وليس فى المستقبل ، حيث تسيطر التكنولوجيا على نظم الحياة الحديثة ..

أما (طارق) و (نور) ، فقد تعاونا لإشعال أسطوانة غاز أخرى ، وإلقائها نحو الجنود الألمان ، الذين ما إن لمحوا الأسطوانة تتدحرج نحوهم ، والنيران تشتعل فيها ، حتى تخلَّوا عن مواقعهم ، وانطلقوا يعدون مبتعدين ، و ...

ودوى الانفجار ..

وانهار أحد جدران بيت الثعالب فى عنف ، وكاد دوِىّ سقوطه يحجب صوت (طارق) ، وهو يهتف :

- ولكن أين رجال المقاومة الفرنسية ؟! أين يحتفظ بهم النازيون ؟!

أجابه (نور) بصوت مرتفع :

- أخبرنى أنت .. إنك تحفظ كل ما يخص هذا العصر عن ظهر قلب .

أشار (طارق) بيده ، قائلاً :

- هناك مكانان لا ثالث لهما .. إما الزنزانة الكبيرةَ ، فى مؤخرة المبنى ، أو الساحة الخلفية .. أيهما تقترح ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يدرس الأمرين فى سرعة ، قبل أن يهتف فى حزم :

- إنها الساحة الخلفية .. سيضعونهم تحت حراسة مشدَّدة .. فالزنزانة الكبيرة لا يمكن أن تستوعب كل هذا العدد .

صاح (طارق) :

- فلنسرع إلى هناك إذن .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت (كارل) ، وهو يهتف :

- اقتلوا الأسرى .. كلهم .. هكذا أمر الجنرال (هولدشتاين) .

اتسعت عينا (طارق) ، وهو يصرخ :

- لا .. ليس (برجيت) .

أطلق صرخته ، ثم وثب يختطف أحد المدافع الآلية ، وضغط زناده على نحو متصل ، وهو يعدو نحو الساحة الخلفية ..

وفى حماس ، انطلق خلفه (أكرم) ، هاتفًا :

- أحسنت يا (طارق) .. هكذا يكون القتال .

التقط (نور) مدفعًا آليًا بدوره ، وهو يغمغم :

- يبدو أنه لا مفرّ يا (نور) .. فلتلق بغضك للقتل والتدمير خلف ظهرك ، ولتنضمّ على الرغم منك ، إلى زمن الدم هذا .

وكان المشهد مهيبًا بحق ..

النيران تشتعل ، فى أماكن شتَى من المبنى ، الذى انهار أحد جدرانه ، وعلى وهجها بدأ أبطالنا الثلاثة كالأسود البواسل ، وهم يشقّون طريقهم نحو الساحة الخلفية ، مع سيل من الرصاصات ، ينهال على النازيين كالمطر .

وبكل الطابع الدموى فى أعماقه ، تجاوز (كارل مانهايم) ذلك الممر الطويل ، الذى يقود إلى الساحة الخلفية ، حيث وقف الأسرى فى توتر شديد ،

لم يتجاوزه سوى اضطراب حراسهم العشرة ، الذين يصوبون إليهم مدافعهم الآلية ، وهم يتساءلون عن ذلك القتال العنيف ، الذى تبلغ أصداؤه مسامعهم ، من داخل بيت الثعالب نفسه ..

وفى توتر بلا حدود ، همس أحد رجال المقاومة :

- ماذا يحدث هنا ؟! أهى محاولة لتحريرنا ؟!

هزَّ (آلان) رأسه نفيًا ، وقال فى عصبية :

- ومن سيقوم بها ؟!

أجابه رجل آخر :

- ربما كانوا رجال المستقبل الثلاثة ، فالقتال يدور داخل المبنى ، كما يبدو لى .

انعقد حاجبا (آلان) فى شدة ، وهو يغمغم :

- هل تعتقد هذا ؟!

ثم هزَّ رأسه فى عصبية ، مستطردًا :

- ستكون صدمة عنيفة لهؤلاء النازيين ، فقد استخدموا كل إمكانياتهم لتأمين بيت الثعالب ، بحيث تعجز فرقة كاملة عن اقتحامه ، ولكن لم يخطر ببالهم قط أن يقاتلهم أحد من داخله .

لم تكن كلمته الأخيرة قد انتهت بعد ، عندما اندفع

(كارل مانهايم) إلى الساحة ، وهو يلوّح بذراعيه ، صارخًا :

- اقتلوا الأسرى .. كل الأسرى .

كان التوتر العنيف ، الذى يسرى فى عروق الجنود ، مبررًا كافيًا ، ليحوّلوا ذلك الأمر إلى فعل مباشر ، بأقصى سرعة ممكنة ، لذا فقد ارتفعت فوهات مدافعهم الآلية بسرعة البرق ..

وانطلقت الرصاصات ..

ومع دوى الرصاصات ، صرخ (طارق) :

- لاااا ..

لم يدر بعدها ماذا حدث بالضبط ..

لقد تفجَّر فى عروقه بركان هائل من الغضب ، وشعر بنفسه يطير فى الهواء ، ورصاصات مدفعه تنطلق كالسيل ، ثم يقتحم الساحة ، وهو يصرخ :

- أيها الأوغاد ..

وامتزجت رصاصاته برصاصات (نور) و(أكرم) ، لتحصد النازيين حصدًا ..

وبكل ما يملك من قوة ، انطلق (كارل مانهايم) يعدو كالصاروخ ، ووثب عبر باب الساحة الخلفى ، وهو يصرخ :

- اللعنة ! اللعنة ! أين الإمدادات ؟! لماذا لم تأت النجدة بعد ؟!

وواصل العَدْو ، حتى قفز داخل إحدى سيارات الجيش ، وانطلق بها مسرعًا ، ومكملاً :

- اللعنة ! اللعنة !

وفى الساحة ، استمرَ (طارق) يطلق رصاصاته فى غضب ، حتى أمسك (أكرم) كتفه فى قوة ، قائلاً :

- كفى يا (طارق) .. كفى .. لقد انتهى أمرهم جميعًا .

رفع (طارق) سبَّابته عن الزناد ، وهو يحدِّق فيما أمامه فى ذهول ، قبل أن يخفض فوهة مدفعه الآلى ، مغمغمًا :

- يا إلهى ! يا إلهى !

أدار (نور) عينيه فى الساحة ، التى غرقت فى بحيرة من الدم ، ثم عضَ شفتيه فى مرارة ، قائلاً :

- يا لها من مذبحة !

هزَّ (طارق) رأسه ، مغمغمًا :

- لم أكن أقصد هذا .. صدقنى أيها القائد .. لم أكن أقصد هذا .

ربَت (نور) على كتفه ، قائلاً :

- أعلم هذا يا (طارق) .. أعلم هذا .

صمت (طارق) لحظة ، وكأنما يحاول استيعاب ما حدث ، ثم لم يلبث أن انتفض فى قوة ، هاتفًا :

- يا إلهى ! (برجيت) .

ثم اندفع نحو رجال المقاومة ، الذين سقط خمسة منهم صرعى ، برصاص النازيين ، فى حين أصيب العديدون بجراح شتى ، وهتف :

- (آلان) .. (جولفيد) .. أين (برجيت) ؟!

هتف (آلان) :

- لسنا ندرى يا (طارق) .. لسنا ندرى .. ذلك الوغد (هولدشتاين) أمر جزَّاره بإحضارها ، ولم نرها بعدئذ قط .

احتقن وجه (طارق) ، وهو يهتف :

- يا إلهى ! يا إلهى !

أما (نور) ، فقد لوَّح بمدفعه ، هاتفًا :

- أسرعوا يا رجال .. اجمعوا كل ما يمكنكم من أسلحة ، واستولوا على كل ما تجدونه من سيارات ، وابتعدوا من هنا بأقصى سرعة ممكنة ، فلن تمضى

دقائق ، حتى يحيط جيش نازى كامل بالمكان .. أسرعوا بالله عليكم .

لم يسمع (طارق) حرفًا واحدًا من هتاف (نور) ، فلم يكد (آلان) ينتهى من عبارته ، حتى انطلق هو كالصاروخ ، باحثًا عن محبوبته الفرنسية ، وهو يهتف فى كل مكان :

- (برجيت) .. أين أنت ؟! أين أنت يا (برجيت) ؟!

ولكن هتافه تردَّد فى المكان طويلاً ..

بلا جواب ..

لقد اختفت (برجيت) مع (هولدشتاين) من بيت الثعالب ..

ودون أدنى أثر ..

★ ★ ★

« أين نحن ؟! »

ألقت (برجيت) السؤال بصوت مرتجف ، وهى تدير عينيها فيما حولها فى ذعر ، وتجاهد محاولة التخلُّص من تلك القيود الرفيعة ، التى تبدو أكثر صلابة من الفولاذ نفسه ، والتى قيَّدها بها (هولدشتاين) إلى فراش صغير ، فى ركن القاعة ،

التى أضيئت بضوء بنفسجى هادئ ، واكتظَّت بعدد من الأجهزة الإليكترونية الدقيقة ، التى لم تر ، أو تحلم حتى بمثلها ، فى أشدّ كوابيسها عنفًا ..

وفى لا مبالاة ، التفت إليها (هولدشتاين) ، قائلاً :

- اصمتى يا امرأة .

ارتجف صوتها أكثر ، وهى تسأل :

- ولكن كيف ؟! كيف أتينا إلى هنا ؟! كل ما أذكره هو ذلك الوهج الأزرق ، و ... و ...

لم تجد الكلمات المناسبة لشرح ما تشعر به ، فتلعثمت الحروف على شفتيها ، على نحو جعله يبتسم فى سخرة ، قائلاً :

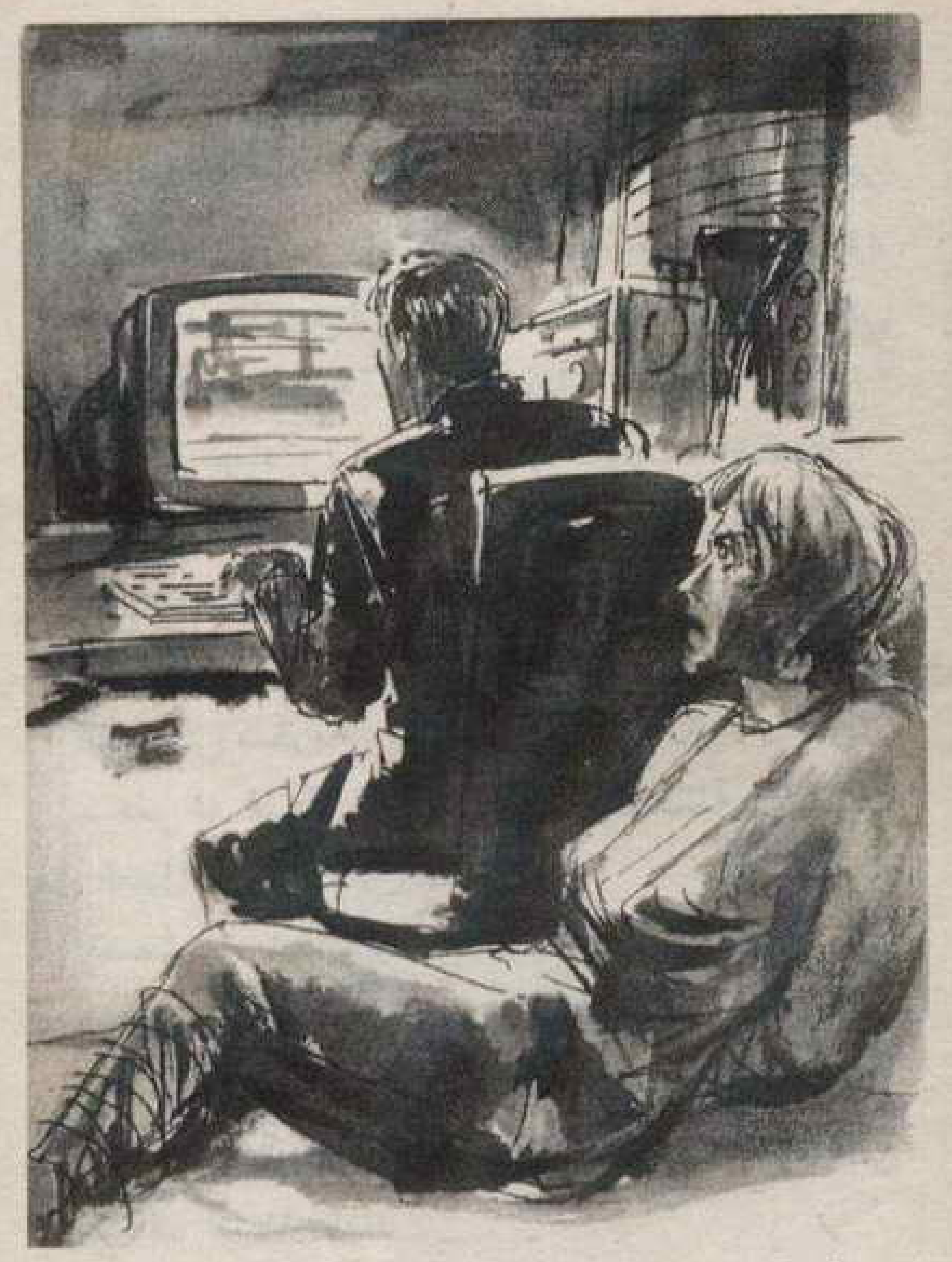
- إنه الانتقال الآنى يا جميلتى .

هتفت مشدوهة :

- الانتقال الـ ... ماذا ؟!

ضغط أحد أزرار الكمبيوتر ، وهو يقول ساخرًا :

- لا تشغلى نفسك فى التفكير يا جميلتى .. إنه أمر لن يمكن حتى لأحفادك استيعابه .. تكنولوجيا متقدِّمة للغاية ، يحلم بها بعض العباقرة ، فى زمنك هذا ، ولكنهم لن يتمكنوا من تحقيق الخطوة الأولى منها ،



ارتجفت شفتاها مرة أخرى ، وعادت تدير عينيها فى المكان ، وقلبها يخفق بين ضلوعها فى ذعر ، ثم انحدرت من عينيها دمعة ساخنة ..

قبل منتصف الثمانينات(*) ، ولكن مع العديد من المشكلات .. أما الخطوة الكبرى ، فلن تتحقق إلا مع الربع الأول من القرن الحادى والعشرين .. و ...

بتر عبارته ، ثم تابع فى شىء من الشراسة :

- ولكن كل هذا لا يعنيك .

ارتجفت شفتاها مرة أخرى ، وعادت تدير عينيها فى المكان ، وقلبها يخفق بين ضلوعها فى ذعر ، ثم انحدرت من عينيها دمعة ساخنة ، وهى تتمتم :

- ماذا ستفعل بى ؟!

أجابها ، وهو منشغل بعمله :

- لا شىء .

ثم توقف عن العمل ، والتفت يرمقها بنظرة مخيفة ، مستطردًا :

- فى الوقت الحالى .

انتفض جسدها فى ارتياع ، وحدقت فى وجهه مذعورة ، وهى تتساءل عما يعنيه بقوله : (فى الوقت الحالى) ، فى حين عاد هو إلى عمله ، متابعًا :

(*) حقيقة .

- ولكنك فى الوقت الحالى ، تمثلين فائدة هائلة لى ، ففارسك الوسيم سيقلب الدنيا بحثًا عنك ، وسيجن جنونه مع اختفائك ، وعندما يفيض به الكيل ، ويعجز عن الوصول إليك ، بكل الوسائل المتاحة ، لن يعود أمامه سوى اللجوء لأسلحته المستقبلية ، التى سيسعى للحصول عليها من مقاتلته الزمنية .

وتألقت عيناه ، وهو يبتسم فى شراسة ، مضيفًا :

- وهكذا يقودنى إليها مباشرة .

ازدردت لعابها فى توتر ، قبل أن تقول فى عصبية :

- (طارق) ليس بهذه السذاجة .

ابتسم فى سخرية ، فتابعت بأعصاب ثائرة :

- حتى لو اضطر للذهاب إلى تلك المقاتلة ، فسيتخذ من السبل ما يمنعك من تعقبه .

اتسعت ابتسامته لحظة ، ثم لم تلبث أن تحولت إلى ضحكة عالية مجلجلة ، قبل أن يقول :

- اطمئنى يا جميلتى .. إذا ما ذهب فارسك إلى مقاتلته ، فلن توجد وسيلة فى الكون كله ، تمنعنى من كشف أمرها عندئذ .

قالها ، وعاد يطلق تلك الضحكة الرهيبة ، التى

خفق لها قلبها بين ضلوعها ، حتى كاد ينفطر من شدة الارتياع ..

فقد كان من الواضح أن ذلك الشيطان يلعب لعبة رهيبة ..

لعبة تكفى لفتح كل أبواب الجحيم ..

وبلا رحمة .





١٠ - الخطــــر ..

« يبدو أننى قد توصلت إلى نتيجة جديدة .. »

هتفت (سلوى) بالعبارة فى حماس ، وهى تجلس أمام الكمبيوتر ، فهرع إليها (رمزى) و(نشوى) ، والأوَّل يسأل فى لهفة :

- ما الذى توصلت إليه يا (سلوى) ؟!

لوَّحت بسبَّابتها ، وهى تشير إلى خريطة ثقوب الزمن ، المرتسمة على شاشة الكمبيوتر ، مجيبة فى انفعال :

- هذه الثقوب .. إنها تختلف .

ألقت (نشوى) نظرة على الخريطة ، متمتمة فى حذر :

- فيم ؟!

أما (رمزى) ، فقال فى اهتمام :

- الاختلاف الحجمى واضح .

أجابته (سلوى) :

- دعك من كل الاختلافات الشكلية الواضحة .. إننى أتحدَّث عن اختلاف مهم ، قد يكون له أكبر الأثر فى عملنا .

ثم ضغطت أزرار الكمبيوتر ، متابعة :

- لقد راجعت رحلة (طارق) كلها ، كما سجَّلتها أجهزة المقاتلة ، وقارنتها بالرموز والأرقام ، وتسلسل الثقوب فى الخريطة ، قبل أن أنتبه إلى أن كل ثقب ، من ثقوب الزمن ، له ذبذبته الخاصة .

هتفت (نشوى) فى انبهار :

- حقًّا ؟!

أجابتها (سلوى) فى حماس :

- نعم يا (نشوى) .. كل ثقب من ثقوب الزمن له ذبذبة خاصة ، تختلف عن ذبذبة أى ثقب آخر ، وهناك تناسب دقيق ، بين كل ثقب وآخر ، بحيث يمكننا معرفة علاقته بالثقوب الأخرى .

سألها (رمزى) فى لهفة :

- وكيف هذا ؟!

أجابته فى سرعة :

- انظر إلى هذا الثقب مثلاً .. إنه يقود إلى القرن التاسع

قبل الميلاد ، وذبذبته تبلغ واحدًا على اثنى عشر ، من ذبذبة ذلك الثقب الآخر ، الذى يقود إلى القرن العاشر الميلادى ، فى حين يقل هذا الأخير بنسبة أخرى ، عن ذلك الذى يقود إلى منتصف القرن الثانى الميلادى .

هتفت (نشوى) :

- يا إلهى ! إنه كشف رائع يا أمى .

نقل (رمزى) بصره بينهما ، قبل أن يسأل متوترًا :

- المهم ما الذى يمكن أن يقودنا إليه ؟!

التفتت إليه (نشوى) ، قائلة فى حماس :

- إلى كل شىء يا (رمزى) .. لقد توصَّلت أمى إلى العلاقة الرئيسية ، التى تربط كل ثقب زمنى بالآخر ، وهذا يعنى أننا ، لو درسنا تلك الذبذبات بمنتهى الدقة ، وباستخدام كل تقنية الكمبيوتر المتطورة ، من خلال الثقوب الخاصة ، التى حدَّد (طارق) أزمنتها بالفعل ، فسيمكننا بفحص ذبذبة أى ثقب جديد ، وتطبيق القاعدة نفسها عليه ، أن نحدَّد بشىء من الدقة ، إلى أى زمن يمكن أن يقودنا .

اتسعت عيناه فى انبهار ، وهو يهتف :

- ربَّاه ! إنه كشف رائع بالفعل .. إنك تستحقين

جائزة (نوبل)(*) عليه يا (سلوى) .. لقد توصَّلت إلى سر السفر ، عبر الثقوب الزمنية .. إنها الخطوة الأولى لصنع آلة زمن ناجحة وفعَّالة .

رفعت سبَّابتها ، قائلة فى حزم :

- كل ما يعنينى الآن هو كيف يمكننى استغلال هذا الكشف ، لاستعادة زوجى ورفيقيه يا (رمزى) .

أجابها فى حزمٍ :

- من المؤكد أن كل خطوة ناجحة ، ستجعلنا أقرب إلى الهدف .

تنهَّدت ، قائلة فى مرارة :

- ولكن كيف ؟! كيف ؟!

هزَّ رأسه ، وهو يقول فى رصانة :

- لا أحد يدرى يا (سلوى) .. كل ما نملكه هو أن نبذل قصارى جهدنا ، ثم نترك الباقى للَّه (سبحانه وتعالى) .

(*) جائزة (نوبل) : ترك المخترع السويدى (ألفريد برنارد نوبل) ، بعد وفاته وصيته ، مع مليون دولار ، بحيث تمنح من فائدتها جوائز سنوية لأحسن عمل فى ميادين الفيزياء ، والكيمياء ، والطب ، والفسيولوجيا ، والآداب ، ولأحسن عمل من أجل السلام الدولى ، على أن تمنح الجوائز دون اعتبار للجنسية أو الدين ، ولقد تم تقديم الجوائز لأول مرة ، فى عام ١٩٠١م .

هزّت رأسها فى أسى ، مغمغمة :

- نعم يا (رمزى) .. أنت على حق .

ثم اكتسى صوتها بحماس مباغت ، وهى تتابع :

- ولكننى سأواصل عملى بأقصى طاقتى ، حتى أجد الوسيلة المناسبة ، لاستغلال هذا الكشف الجديد ، فى استعادة الجميع ، وإعادتهم إلى زمننا هذا .

ارتسمت ابتسامة هادئة على شفتيه ، وهو يتمتم :

- بالتأكيد يا (سلوى) .. بالتأكيد .

نطقها ، وهو يقاوم بؤرة ملحّة فى أعماقه ..

بؤرة ما زالت تصرّ على أن عودة (نور) ورفيقيه إلى هذا الزمن ، لن تكون أبدًا بالأمر الهيِّن ، أو البسيط ..

وأنهم يواجهون حتمًا ، فى ذلك الزمن الذى ذهبوا إليه ، الكثير من الخطر ..

الكثير جدًّا ..

★ ★ ★

احتقن وجه (كارل مانهايم) فى شدة ، وهو يقف أمام (بيت الثعالب) ، الذى خبت نيرانه ، وبدت عليه آثار الدماء واضحة ، وغمغم فى حنق شديد :

- اللعنة ! كيف يمكن أن يتحوَّل انتصارنا على رجال المقاومة الفرنسية إلى هزيمة ساحقة كهذه ؟! كيف ؟!

كان هناك جيش كامل من الجنود النازيين يحيط بالمبنى ، وينتشر فى كل الشوارع المحيطة به ، لعزله تمامًا عن المنطقة ، وفحص كل شبر منه ، إلا أن (كارل) شعر وكأنه يقف وحيدًا ، فى منتصف سفينة غارقة ، وهو يتطلّع إلى ما أصاب المبنى ، والشمس ترتفع فى الأفق ، وتلقى ظلالاً طويلة مخيفة حوله ..

وبخطوة عسكرية صارمة ، اقترب منه أحد الضباط ، وهتف رافعًا يده فى حزم :

- هايل (هتلر) .

التفت إليه (كارل) ، متسائلاً فى عصبية :

- ماذا لديك أيها الضابط ؟!

- خفض الضابط يده إلى جواره ، قائلاً :

- لا يوجد أحياء على الإطلاق يا سيِّدى ، ولم نعثر على أدنى أثر للجنرال (هولدشتاين) ، أو تلك الفتاة ، التى أخبرتنا عنها .

عقد (كارل) حاجبيه ، قائلاً فى توتر :
- ربما تشوه وجهه بقنبلة ما ، أو .....
قاطعه الضابط بهز رأسه نفيًا ، على نحو جعله يبتر عبارته ، ويقول فى حدة :
- لا يمكن أن يكون قد اختفى ، أو تلاشى من المكان .. لقد تركته فى حجرة مكتبه مع الفتاة .
هزَّ الضابط رأسه نفيًا مرة أخرى ، وقال فى حزم :
- لا يوجد أدنى أثر لهما يا سيِّدى .
احتقن وجه (كارل) مرة أخرى ، وهو يغمغم :
- أين ذهب إذن ؟! أين ؟!
سأله الضابط فى حذر :
- هل من أوامر أخرى يا هر (ماتهايم) ؟!
- صمت (كارل) بضع لحظات ، وهو يعقد حاجبيه فى صرامة شديدة ، ثم التفت إليه ، قائلاً :
- أعلن أن رجال المقاومة شنوا هجومًا على (بيت الثعالب) ، فى محاولة لإنقاذ الجواسيس الثلاثة ، ولكننا تصدينا لهم فى عنف ، وكبّدناهم خسائر فادحة .
بدت الدهشة لحظة على وجه الضابط ، إلا أنه لم يلبث أن قال فى استسلام :

- كما تأمر يا سيِّدى .. كما تأمر .
واستدار لتنفيذ الأمر ، ولكن (كارل) استوقفه ، قائلاً فى صرامة :
- أعلن أيضًا أنه قد تم تنفيذ الحكم فى الجواسيس الثلاثة ، على الرغم من الهجوم .. هل تفهم ؟!
قال الضابط فى توتر :
- ولكنهم ما زالوا مطلقى السراح يا سيِّدى .
أجابه فى صرامة :
- إننا نغطى الأوراق الرسمية فقط أيها الغبى .
مط الضابط شفتيه ، وتنهَّد مغمغمًا :
- كما تأمر يا سيِّدى .
شدَّ (كارل) قامته أكثر ، بعد انصراف الضابط ، وهو يقول محنقًا :
- لن يسخر منا الباريسيون أبدًا .
ثم استطرد ساخطًا :
- ولكن أين ذهب الجنرال والفتاة ؟! أين ؟!
- كانت أعماقه تشتعل غضبًا وثورة ، حتى إنه لم يحتمل البقاء ، فقفز داخل سيارته ، وانطلق بها مبتعدًا ، وهو يعيد دراسة الموقف كله فى ذهنه ..

وانطلقت فى عقله تساؤلات شتى ..

واسترجع مواقف عديدة ..

وتضاعف شعوره بعدم الارتياح أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وطوال الطريق إلى مكتبه الثانى ، فى قلب (باريس) ، تفجَّرت فى أعماقه عشرات الشكوك ، ولم يكد يستقر خلف مكتبه ، حتى هتف بمساعده :

- صلنى بالقيادة فى (برلين) .

بدا مزيج من الدهشة والقلق على وجه المساعد ، الذى يدرك جيِّدًا أن الاتصال بالقيادة ، فى غير مواعيد الاتصال المتعارف عليها ، يعنى وجود أمر جلل ، يحتاج إلى أوامر عليا للغاية ، وسأل (كارل) ، وهو يجرى الاتصال بالفعل :

- إلى من تريد أن تتحدَّث يا سيِّدى ؟!

- صمت (كارل) بضع لحظات ، ثم أجاب فى حزم :

- إلى الهر (هتلر) .. شخصيًّا .

واتسعت عينا المساعد أكثر وأكثر ..

فقد كان الاتصال بقائد (الجستابو) شخصيًّا ، يعنى أن الأمور هنا تمرّ بمرحلة من الخطر ..

الخطر الحقيقى ..

وأن الأمور ستتغيَّر حتمًا ، فى الأيام القادمة ..

ستتغيَّر كثيرًا ..

إلى الأسوأ ..

★ ★ ★

« إنها أخطر مهمة ، فى تاريخ الأرض كلها .. »

أغلق (طارق) عينيه ، وهو يستعيد تلك العبارة ، التى قالها قائده ، قبل أن يركب مقاتلته ، وينطلق بها فى رحلته الطويلة ..

الطويلة للغاية ..

كان يجلس على الأرض ، فى ركن ذلك المخبأ الجديد ، الذى انتقل إليه رجال المقاومة ، فى أطراف (باريس) ، ويضمّ ركبتيه بذراعيه إلى صدره ، ويسند رأسه إليهما ، وذكرياته تنطلق بعيدًا .. بعيدًا ..

عبر الزمان والمكان ..

« صدقنى يا ولدى .. مستقبل الأرض كله بين يديك .. »

« سأبذل قصارى جهدى يا سيِّدى .. »

« وستواجهك مخاطر شتّى .. »

« لن أتوانى عن التصدّى لها .. »

« إننا نجهل حتى ما ستواجهه .. ربما كانت رحلة بلا عودة.. أما زلت تصرّ على الذهاب ؟! »

« لن أتراجع يا سيِّدى .. »

« يا لك من بطل ! إنك تذكرنا بجدك العظيم ، وتاريخه المجيد .. »

« أتمنى هذا يا سيِّدى ، ولست أشكّ لحظة واحدة ، فى أنه لو كان فى موضعى هذا ، لما تردَّد فى القيام بتلك المهمة ، لإنقاذ الأرض ومن عليها .. »

« اذهب إذن يا ولدى .. انطلق على بركة اللّه .. »

« (طارق) .. »

اخترق ذلك الهتاف الأخير ذكرياته بغتة ، وانتزعه منها فى عنف ، فانتفض جسده انتفاضة خافتة ، قبل أن يلتفت إلى مصدر الصوت ، ويتطلّع فى وجه (نور) ، الذى جلس إلى جواره ، قائلاً بصوت حنون :

ـ فيم تفكر ؟!

صمت (طارق) لحظة ، بعينين شاردتين ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه ، متمتمًا :

ـ لا شىء .. مجرَّد ذكريات .

تطلّع إليه (نور) طويلاً ، وهو يزن الأمور فى رأسه بعمق ، ثم قال :

ـ ألم يحن الوقت بعد ، لتفصح عما لديك ؟!

هزّ (طارق) رأسه نفيًا ، وهو يجيب فى أسى :

ـ كل ما يشغل بالى الآن هو (برجيت) .

ثم التفت إليه بعينين دامعتين ، مكملاً :

ـ لست أدرى أين اختفى بها ذلك الشيطان .. وكيف ؟!

قال (نور) :

ـ ربما غادرا المبنى قبل وصولنا .

هزّ (طارق) رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ كلا أيها القائد .. الكل أكد أن (هولدشتاين) هو الذى أصدر أمر إعدام الأسرى بنفسه ، وهذا يعنى أنه كان داخل المبنى ، مع (برجيت) ..

تطلّع إليه (نور) لحظة فى صمت ، ثم ربّت على ظهره ، قائلاً :

ـ يا إلهى ! إنك تحبها بشدة !

أومأ (طارق) برأسه موافقًا ، وقال بصوت حزين :

ـ أكثر مما تتصوَّر أيها القائد .. أنا نفسى لم أكن

أتخيَّل أن يحدث لى هذا .. لقد مررت بتجارب عديدة ، وشاهدت عصورًا شتى ، ولكننى وقعت فى حب (برجيت) من اللحظة الأولى .

وتضاعف التأثُّر فى صوته ، وهو يتابع :

- وكأننى كنت أنتظرها طوال عمرى .

ربَت (نور) على كتفه ثانية ، هامسًا :

- هذا يحدث يا صديقى .. هذا يحدث أحيانًا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى دلف (جولفيه) إلى المكان لاهثًا ، وهو يقول :

- لم نعثر على أدنى أثر لهما .

هبَّ إليه (طارق) ، متسائلاً فى لهفة :

- هل بحثتم جيِّدًا ؟!

أومأ (جولفيه) برأسه إيجابًا ، وقال :

- فى كل مكان ، ولكن من الواضح أن الجنرال (هولدشتاين) قد اختفى تمامًا .. حتى ضباطه يجهلون أين هو .. لقد تلاشى الرجل تمامًا .

احتقن وجه (طارق) ، وهو يقول :

- مستحيل ! إنه فى مكان ما هنا .

سأله (آلان) فى توتر :

- أين ؟!

هتف فى حدة :

- لست أدرى .. إنه هنا فحسب .

وقال أحد رجال المقاومة فى أسى :

- أخشى أن يكونا قد لقيا مصرعيهما ، داخل (بيت الثعالب) .

التفت إليه (طارق) ، قائلاً :

- لا .. هذا لم يحدث .

انبرى رجل آخر يقول :

- لقد شاهدت ذات مرة رجلين مزّقتهما قنبلة ، وكان من العسير تعرُّف أشلائهما .

صاح به (طارق) فى حدة :

- قلت : هذا لم يحدث .

ثم راح يتحرَّك وسط الرجال ، متابعًا فى عصبية شديدة :

- لقد فعل (هولدشتاين) هذا عمدًا .. لقد اختفى مع (برجيت) ، حتى يدفعنا للبحث عنها وعنه .. إنه يستدرجنا للقتال فى مكان ما .

تبادل رجال المقاومة نظرة متوترة ، قبل أن يقول أحدهم فى تردُّد :

- صحيح أننا جميعًا نحب (برجيت) ، ولا نتردَّد فى التضحية بأرواحنا من أجلها ، ولكن من الحماقة أن نسمح لذلك الشيطان بأن يقودنا إلى فخ آخر .

لوَّح (طارق) بذراعه ، قائلاً :

- إنه لا يريدكم أنتم .. إنه يريدنا نحن .

صاح أحد الرجال :

- هذا صحيح .. منذ انضممتم إلينا ، تنهال على رءوسنا الضربات بلا رحمة .

وهتف آخر فى غضب :

- ارحلوا .. ابتعدوا عنا .. كفانا ما لقيناه منكم .

وصاح ثالث :

- فليرحل الغرباء .

وانطلقت صيحة من وسطهم :

- فليذهبوا إلى الجحيم .

كان من الواضح أن الموقف عدائى للغاية ، حتى إن (نور) اتجه نحو (طارق) ، وجذبه من ذراعه ، هامسًا فى أذنه :

- رويدك يا (طارق) .. الرجال ثائرون للغاية .

ولكن (طارق) تجاهل نصيحته ، وهتف فى صرامة :

- سأبحث عن (برجيت) ، حتى آخر نفس يتردَّد فى صدرى .

انطلقت صيحات غاضبة من الرجال ، وقال (أكرم) فى توتر :

- ربَّاه ! ماذا يحدث هنا ؟ ماذا أصابهم ؟!

أجابه (نور) ، وهو يجذب (طارق) فى قوة :

- إنه انفعال طبيعى ، بعد كل ما واجهوه أمس .

هتف (طارق) فى حنق :

- ولكنها قائدتهم .. المفترض أن يقاتلوا باستماتة ؛ لاستعادتها .

أجابه (نور) فى صرامة :

- إنهم لا يؤمنون بأنها مازالت على قيد الحياة .

صاح (طارق) :

- إنها كذلك .

قال (أكرم) فى حدة :

- كفى يا (طارق) .. ربما أعماك الحب عن رؤية الحقيقة ، ولكن ما من دليل واحد ، على أن محبوبتك الغالية ما زالت على قيد الحياة .

صاح به (طارق) :

ـ وما من دليل أيضًا ، على أنها قد لقيت مصرعها .

ثم أشار إلى رجال المقاومة ، مستطردًا فى حنق :

ـ والمفترض أن يقاتل هؤلاء الرجال من أجل ...

قاطعه صوت (آلان) فى صرامة جافة :

ـ ليس هذا من شأنك .

استدار إليه (طارق) بحركة حادة ، هاتفًا :

ـ بل هو من شأ....

قاطعه فى غضب هادر هذه المرة :

ـ قلت لك : ليس هذا من شأنك .

كانت شياطين الغضب كلها تتقافز فى وجهه ، وهو يندفع نحو (طارق) ، متابعًا :

ـ الرجال على حق تمامًا .. المصائب كلها تنصبُّ على رءوسنا ، منذ ظهرتم فى حياتنا .. هيا .. ارحلوا عنا .. لا شأن لكم بنا .. كفانا ما فقدناه ، منذ انضممتم إلينا .

كان (نور) يدرك تمامًا أن الموقف مشتعل للغاية ، وأن أفضل ما يمكن أن يحدث ، هو أن يتراجعوا مؤقتًا ، ولكن (طارق) تجاهل كل هذا ، وهو يقول فى تحدٍّ :

ـ لن نرحل حتى نستعيد (برجيت) .

انعقد حاجبا (آلان) على نحو مخيف ، وهو يقول :

ـ هكذا ! فليكن أيها المستقبلى .. إنك لم تدع لنا خيارًا .

ثم قفز إلى الخلف ، صائحًا :

ـ الآن يا رجال .

وقبل حتى أن تكتمل صيحته ، ارتفعت فوهات مدافع رجال المقاومة ..

وانطلقت الرصاصات ..

بلا هوادة ..

وبلا رحمة .

★ ★ ★

انتهى الجزء الثالث بحمد الله

ويليه الجزء الرابع بإذن الله

(الفارس الثانى)

زمن الدم

- هل يسقط (نور) ورفيقاه فى قبضة شيطان الزمن (هولدشتاين) ؟!
- كيف يتصدى الثلاثة للقوات الألمانية، فى قلب الحرب العالمية الثانية ؟!
- ترى لمن يكون النصر فى تلك الجولة، ومن يربح المعركة.. فى (زمن الدم) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (نور) وفريقه.. من أجل المستقبل.



العدد القادم: الفارس الثانى





د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

119

الثمن فى مصر ٢٠٠ ص
ومايعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم